
3 1158 00542 0335


THE UNIVERSITY OF CALIFORNIA
LET THERE BE LIGHT
1868

الدروز

والثورة السورية

وسيرة سلطان باشا الاطرش

بقلم كريم خليل ثابت
مؤلف كتاب عبد الكريم والحرب الريفية



سلطان باشا الاطرش

مقدمة

بقلم حضرة الكاتب الوطني المعروف والشاعر المطبوع السيد
خير الدين الزركلي

اضطربت الأنساب وضاعت الاصول واختلطت الدماء في أكثر البقاع الشامية وبقيت طائفة في بلاد حوران وبعض لبنان محتفظة بعربيتها مستمسكة بعصبيتها عاشت فيها القيسية واليمانية الى يوم الناس هذا ، وتوارثت أخلاق من يرتفع اليهم نسب كل فريق منها ، تلك طائفة الدروز العربية الاسلامية رافعة أول لواء خفق في ثورة سورية الحاضرة

ليست الدرزية اليوم في عرفي صفة طائفية تتميز بمذهبها الخاص بأهلها وإنما هي صفة عنصرية لعشيرة اندمجت فيها سلالات متعددة ترجع كلها الى دم عربي محض عدناني وقحطاني ، حجازي ويمني وللثاني الكثرة فيها بما أنسل الغسانيون في جنوب الشام وغربها أما المذهب فليس بالفارق الحقيقي ، ولو صح اتخاذه فارقاً لرأينا في ابنائه ما نراه في أبناء المذاهب الاسلامية الأخرى من اختلاط في الدم واختلاف في الامزجة وتباين في الافكار والأطوار والعادات والنزعات

حافظ الدروز على صحيح عادات العرب ، أجدادهم بلا نزاع ، وعاشت في أفرادهم وجماعاتهم خلال الكرم والشجاعة والأنفة والصدق والوفاء ، فلا تكاد تعد فيهم من لا أثر لهذه الخصال فيه ، بل هي البارزة في كل من تعد منهم ، وناهيك بما في منطقهم كافة ، من عامة وخاصة ومتعلمين وأميين ، من فصاحة تدل عليهم وحسن بيان انفردوا به

والدروز في قسميهم اللبناني والحوراني متميزون في من جاوروا بصفات انبعث عنها اعجاب عارفيهم بهم ، فالدرزي في لبنان متعلم ، والدرزي في حوران بطل ، منهم في الموطن الاول كبار الحقوقيين والاطباء والاداريين وحسبي ان اضرب مثلا قرية صغيرة من قراهم في لبنان هي « عينكسور » فقد أخبرني من لا أشك في صدقه أن عداد نفوسها لا يبلغ مئة نساء ورجالا وليس فيهم من لا يحمل شهادة مدرسية غير الاطفال . وأما الموطن الثاني — حوران — فالعرين الذي لا يقتحم ، وكفى شاهداً على صحة القول ان ليس في بلاد الشام اليوم حضر يغزون ويغزون ، أعدوا بيوت الشعر الى جانب بيوت الحجر ، وضمروا المطهمات الجياد في بساتين الزرع والحصاد ، غير الدروز

ظل هذا العنصر العربي الخالص ، حريصاً على حريته ، يدفع عن استقلاله كل عدوان ، ولم يستطع ما مر ببلاد الشام من كوارث ومحن ، وما تعدد فيها من حكومات ودول ، أن يغير شيئاً مما هم عليه أو يخرجهم من عزلتهم التي اختصوا بها انفسهم ، وهذه وقائع الدولة العثمانية التركية معهم ماثلة الذكرى شاخصة الحوادث ناطقة بما لقيه قادة جيشها

العسكريون ودهاة ولاتها الاداريون من صلابة الدروز ومناعة جبلهم وقوة بأسهم، فلقد قاتلوا الترك مراراً ولم تنته معركة فاصلة بخضوعهم بل كانت مطالبهم هي التي تؤيد في ختام كل ثورة يقومون بها بعد ان يتبين أن لما لهم من حق انصاراً تذود عنه وتطلبه بالسيف والقنا والشيب والشبان

ولقدمدت بلاد الشام أعناقها في الفترة الاخيرة للتطلع ، واستمر المستعمر الافرنسي يشحذ غرار قواصله ، حتى أوشك متوسم الخير بهذه الامة أن يدب الى قلبه القنوط من يقظة ترجع اليها ما تقتضيه الحياة من روح ، ويزد الكيد فسكن الروع صوت يدوي من سويداء السويداء وبندقية تنطق في تلك الانحاء فتنطلق نارها تخترق الفضاء فكان الدروز أول من أبى عليه شممه طول الاستكانة للمحتل المستعمر في ديارهم الشامية ، وكانت غضبتهم المسلحة (ان صح التعبير) أول غضبة من نوعها بعد أن مضى زمن على انتفاضة « هنانو » في الشمال « وصالح العلي » في الغرب

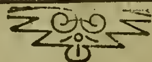
ثار الدروز ، وباسم الحق ثورتهم ، وقامت على اثرهم رجالات سورية وسرواتها تردد صدى الصوت ، فاذا الثورة عامة ، والناس اليها ينظرون ، متسائلين عما يكون مصيرها ، متفائلين بما أزمعته بلاد الشام من التضحية وتقريب القرابين أمام هيكل منشودها غير الضال ، ومعبودها لو لا الايمان بالمتعال : الاستقلال !

وان صديقي الاديب النابه كريماً الثابت ، الذي خاض بقلمه غمار

الحربين الاستقلاليتين حرب مصطفى كمال وحرب عبد الكريم لجدير به أن يعزز كتابيه بثالث ، ينصف فيه أبطال الدروز في حربهم الاستقلالية السورية ، انصافه من سبقهم في الحربين التركية والريفية ، وكأني به قد لبى هذه الدعوة أو الهمها فرأيته يتحدث في الموضوع ثم رأيته يبحث عن مصادره ، ثم رأيته يبشرني بانتهاء كتابه تأليفاً وطبعاً في وقت معاً فأكبرت فيه الهمة وحمدت له السعي

ولا يمنعني عدم اطلاعي على الكتاب أن اقول كلمتي فيه بالاستحسان استناداً الى ما عرفته في مؤلفه الالمعي في تتبع المباحث وحسن اختيار المراجع ووطنية صادقة يترجم عنها اخلاصه في كل اعماله وأقواله وذكاء تعرب عنه آثاره وأطواره ، ونشاط تستمده روح الفتوة والشباب فيه من طبيعة فطرت عليها نفسه ، وليس بالمتنكر على الشباب أن يأتي العالم بالمعجزات

خير الدين الزركلي



كلمة للمؤلف

طلب الي كثيرون من اصدقائي المحبين وزملائي المخلصين لما بلغهم اعتزامي على نشر هذا الكتاب ان استهله بنبذة ضافية عن تاريخ جبل الدروز وعن الدروز انفسهم واعتقاداتهم الدينية وعاداتهم الاجتماعية زيادة في الفائدة والتعريف فشكرتهم على اقتراحهم ووطنت النفس على العمل برأيهم ولكن لما كنت لم ازر جبل الدروز في حياتي ولا تناولت احوال الدروز الدينية والاجتماعية في ابحاثي وكتاباتي رأيت ان خير مسلك اسلكه لاداء مهمتي من دون ان يلتوي علي مقصدي هو ان ألجأ في استقاء ما افتقر اليه في هذا الصدد من المعلومات والايضاحات الى افضل الكتب التي وضعت في جبل الدروز والدروز فجمعت نيفاً وعشرين كتاباً بعضها مخطوط وبعضها مطبوع وبعدما تصفحتها واستوعبت مضمونها استخرجت منها مواد الفصلين الاولين من هذا الكتاب ثم أوردتها بنصها الاصلي من دون تعديل ولا تبديل دفعاً لكل التباس كما تقدم وقد اشرت الى كل فقرة في ذينك الفصلين بعنوان صغير تسهيلا للمطالعة والمراجعة ولا يفوتني في هذا المقام ان اوجه شكري الى حضرة الدكتور عبدالحميد ابوهيف بك مدير دار الكتب الملكية والى حضرة الشاعر الاديب الاستاذ احمد زامي الموظف في تلك الدار على الخدمة التي أسدياها الى في تدبير الجانب الأكبر من تلك الكتب

اما معلومات الفصول الاربعة الاخرى فاستقيتها من المقالات التي انشأتها في جريدة المقطم بعنوان « في عالم السياسة » ومن الكتب والجرائد والاحاديث والمصادر التي ذكرتها في محلها تنويهاً بفضل مذيعيها وناشريها

وسيتلو كتابي هذا قريباً كتاب اخر عن « الثورة السورية » وفيه تتمة هذا الجزء كتفصيل فاجعة دمشق ووقعها في مصر وفي سائر الاقطار الشرقية واعمال اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني في مصر وموقف السوريين واللبنانيين في الديار المصرية وتعيين المسيو هنري دي جوفنيل الى غير ذلك من الشؤون الهامة والمباحث الطلية التي لايزال معظمها في الكتمان

هذا وانني أتقدم بهذا الكتاب بكل خشوع واحترام وأضعه على اعتاب ذلك الهيكل الذي بناه المجاهدون بدمائهم وارواحهم هيكل الحرية والاستقلال . وفقني الله دائماً الى خدمة الشرق والشرقيين





خارطة جبل الدروز والديار الشامية

الفصل الاول

جبل الدروز

موقع جبل الدروز وحدوده ـ مساحة الجبل وتربته ـ عمران الجبل وآثاره ـ آثار السويداء ـ آثار قنوات ـ آثار ساله ـ الجبل قبل الاسلام ـ صرخد في التاريخ العلم في الجبل ـ نادرة عن عالمين من علماء الجبل ـ متى نزل الدروز الجبل المعروف باسمهم ـ كيف استولى الدروز على الجبل حروب الدروز

موقع جبل الدروز وحدوده

الى الجنوب من دمشق على نحو عشرين ميلاً منها كورة (اقليم) واسعة مخصبة الرباع اسمها حوران [1] فيها نحو ست

---

(١) تبعد حوران عن دمشق عشرين ميلا ويحدها شمالا دمشق وما يتبعها من الخط الجنوبي وجبل الشيخ ومجدل شمس وشرقاً البادية وجنوباً برية فسيحة نهايتها الحجاز وغرباً نهر الاردن الى ماوراء بحيرة طبرية حتى السلط

وحوران كورة واسعة ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار وما زالت منازل العرب وذكرها في اشعارهم كثيراً وقصبتها بصرى . قال امرء القيس:

ولما بدت حوران والآل دونها   نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا

مئة قرية وفي شرقي تلك الـكورة اقليم مموع فيه السهل والجبل الا انه اطلق عليه اسم جبل حوران كما يقال له جبل الدروز الآن لان معظم سكانه منهم وهو يمتد من شمالي حوران الى جنوبيه ويحده من الشمال اللجاة وهي أرض بركانية ذات حرار وعرة للغاية ومن الشرق البادية ومن الجنوب قفر مترامي الاطراف يتصل بوادي الحجاز ومن الغرب الجنوبي النقرة والنقرة سهل جيد التربة في وسط حوران

مساحة الجبل وتربته — قال العالم المدقق الاستاذ محمد كردعلي في مجلته المقتبس «وطول جبل الدروز نحو ١٥ ساعة على راكب المطايا وعرضه ٨ ساعات وهو من الجهة الجنوبية والجهة الغربية اي نحو ثلاثة ارباعه

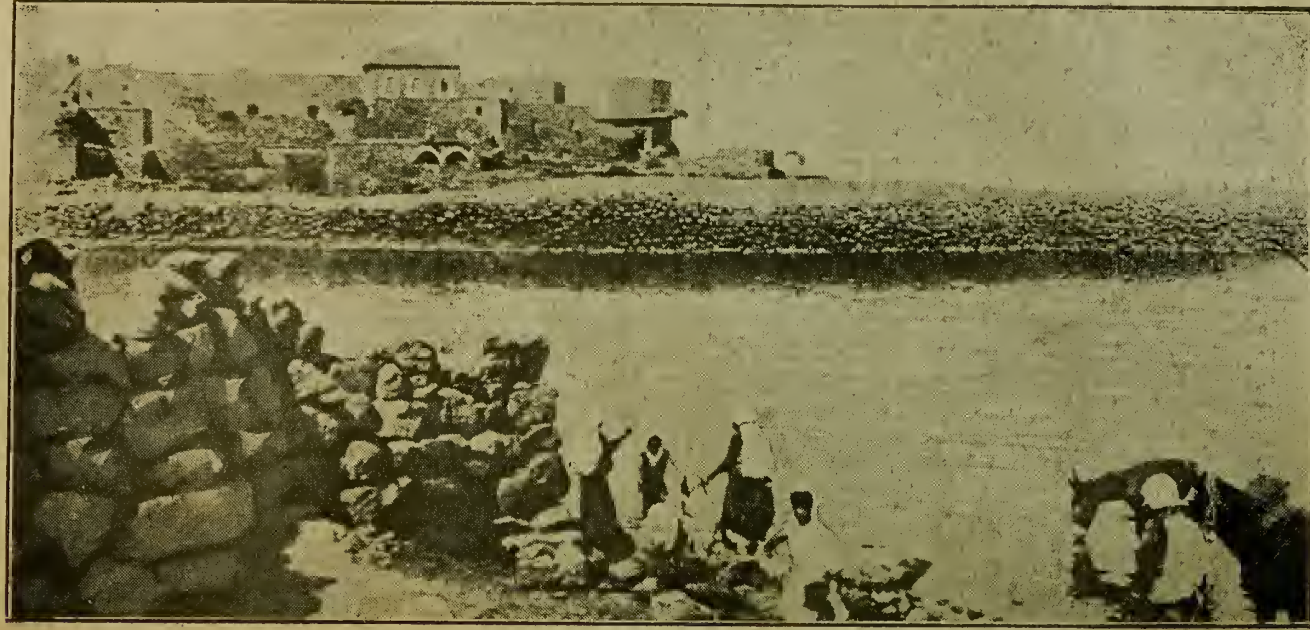
وقال جرير :

هبت شمالا فذكري ماذكرتكم عنـد الصفاة التي شرقي حورانا
هل يرجعن وليس الدهر مرتجعا عيش بها طال ما احلولي ومالانا

وفتحت حوران قبل دمشق وكان قد اجتمع المسلمون عنـد قدوم خالد على بصرى ففتحوها صلحاً وانبثوا الى أرض حوران جميعاً وجاءهم صاحب اذرعات فطلب الصلح على مثل ما صولح عليه أهل بصرى . وقد نسب الى حوران قوم من أهل العلم منهم ابراهيم بن أيوب الحوراني الزاهد . قال أبو الفداء عن غسان وهي من حوران وملوكها كانوا عمالا للقياصرة على عرب الشام وأصل غسان في اليمن من بني الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن ادد بن زيد بن كهلان بن سبا تفرقوا من اليمن بسيل العزم ونزلوا على ماء بالشام يقال له غسان فنسبوا اليه وبصرى هي من ديار بني فزارة وبني مرة وغيرهم

والراجح ان أصل حوران من حور بالعبرانية ومعناها الـكهف أو الغار فان بها كثيراً من الـكهوف والمغائر . وقد حفر القدماء بعضها لخزن الماء والحنطة وكان الرومان يسمونها اورانيتيس وهـذا الاسم من الاصل العبراني المذكور





السويداء

سهل خصيب تضاهي تربته تربة السهل من بلاد حوران وغوطة دمشق والبقاع العزيز وربما كانت احسن منها »

وجاء في دائرة المعارف للبستاني : «اما جبل حوران ويعرف بجبل الدروز ايضاً فهو قليل الماء غزير المحاصيل وهو واقع في الجهة الشرقية من حوران ممتد من الشمال الى الجنوب ، وهو عبارة عن سلسلة ذات اكام كثيرة اعلى قممها ليست ارفع من الف وثماني مئة قدم عن سطح بلاد حوران . ومعظم طول الجبل من الشمال الى الجنوب مسير يومين أي ستون ميلاً ومعظم عرضه من الشرق الى الغرب ثلاثون ميلا اي مسير يوم فتكون مساحته نحو الف وثماني مئة ميل مربع وأراضيه بركانية وحجارته سوداء وكذا تربته . وتتخلل رباه سهول كثيرة الخصب جيدة ومسالكه ليست صعبة »

ويقدر الأستاذ المؤرخ اسكندر عيسى المعلوف مساحة الجبل بمئتي وثمانين الف ذراع من الشمال الى الجنوب وبنحو مئتي الف ذراع من الشرق الى الغرب .

وقدر السر جورج آدم سمث عميد جامعة ابردين سكان

وقد ذكرها يوسيفوس وكانت فيها مملكة باشان ولا يبعد أن يكون هذا مأخوذاً من اسم قرية من قرى دمشق قالوا انها قرية اصحاب الاخدود . قال القزويني بها بيعة عظيمة عامرة حسنة البناء على عمد الرخام منقشة بالفسيفساء يقال لها نجران ينذر لها المسلمون والنصارى . (عن الدائرة) .

جبل الدروز في سنة ١٩١٨ باربعين الفاً عدا عن المسيحيين والمسلمين وقدر الباحث حنا أبي راشد المعروف بالرحالة في مقالة له بمجلة الهلال الغراء مجموعهم بـ٥٢٠٦٤ نسمة منها ٤٤٣٤٤ من الدروز و٤٦٥٤ من المسيحيين و ٧٢٥ من المسلمين وعند « الرحالة » ان مساحة الجبـل تبلغ ٧٩٢٠ كيلو متراً مربعاً تضاف اليهـا الاراضي الخاصة بالمرعى ومساحتها ٤٥٧٢ كيلو متراً مربعاً

عمران الجبل وآثاره

والمعروف عن تاريخ عمران هذا الجبل ونزول الدروز فيه انه كان في الدول القديمة تابعاً لحوران تشهد لذلك الآثار القليلة الباقية الى اليوم في بعض امهات قراه مثل السويداء [1] قاعدته القديمة وصرخد وقنوات فان الـكتابات اليونانية واللاتينية والقبطية

---

(١) قال ياقوت في المشتبه : السُويداء بضم السين وفتح الواو تصغير سودا أربعة مواضع السويداء من قرى حوران من اعمال دمشق ينسب اليها أبو محمد عامر بن دغش بن خضر بن دُغش الحوراني السويدائي كان شيخاً خيراً تفقه ببغداد على ابي حامد الغزالي وسمع الحديث من أبي الحسن ابن الطيوري سمع منه الحافظ أبو القاسم الدمشقي وأثنى عليه خيراً ومات في حـدود سنة ثلاثين وخمسمائة والسويداء موضع على ليلتين من المدينة من جهة الشام . والسويداء مدينة مشهورة بين آمد وحران من نواحي ديار مضر بالضاد المعجمة وأهلها أرمن نصارى والسويداء قرية من قرى حماة بينها وبين حمص



السويداء

والعربية المكتوبة بخط سباء تدل على انه كان عامراً للغاية

آثار السويداء — وفي السويداء بل في اكثر قرى الجبل على ما انتابها من الخراب والتدمير بعض الآثار اليونانية والرومانية [1] مثل القناة والمعبد والمسلة التي يظن انها من القرن الرابع والخامس للميلاد والجامع الخرب المزبور عليه بعض كتابات يونانية والخزان الكبير لجمع الماء الذي انشيء على اكمة تشرف على السويداء وعلى طريق قرية القنوات جسر مهم للغاية جعل على عمد هائلة يظن أنه من القرن الاول وانه كان ناووساً

آثار قنوات — والظاهر من عاديات قنوات انها كانت اهم من بصرى قاعدة بلاد حوران كلها وكانت فيها ابرشية للروم ولا تزال بعض الطرق هناك مبلطة ببلاط كبير سلم من عوادي الايام ومعظم الدور محفوظة كما كانت بنوافذها وابوابها الحجرية

ومن الآثار التي تجلب الانظار ذاك المسرح « التياترو » الجميل القائم على يمين الوادي واكثره منحوت في الصخر وقطره نحو ١٩ متراً وفيه تسعة صفوف اسفله على متر ونصف تحت الملعب وفي وسطه حوض ماء وهو مطل على الوادي ومصانع المدينة وجبل حرمون (الشيخ) وفي مكان شاهق آثار معبد ذي ادراج في الصخر تؤدي الى برج أصم ربما كان جزءاً من حصن مشرف على المضيق ويستدل من الابنية السفلى على ان تاريخها يرد الى ما

---

(١) دليل سورية وفلسطين لبيديكر (٢) [illegible]

قبل عهد الرومان وعلى ميلة قليلة نحو الشرق برج عظيم مدور دائرته ٢٥ متراً وربما كان برجاً لدفن الموتى وهناك بعض خرائب كنائس وجادات واروقة وارتجة وبعض قطع من هياكل وتماثيل وملاعب

آثار ساله وعلى ثلاثة أرباع الساعة من قنوات في الجنوب الشرقي قرية ساله وفيها معبد من اهم معابد حوران تشبه هندسته معبد هيرود في القدس وفيه من رسوم الاسود والغزلان والخيول المسرجة وغيرها ما يأخذ بجامع القلب . وهناك ايضاً مذبح في سفح درجات المعبد وكان هذا المعبد خاصاً بعبادة اله السماء ومن الآثار المهمة آثار شهبا وطرقها معبدة واسعة تكاد تكون أوسع طرق حوران وقد يبلغ عرض الشارع فيها سبعة أمتار وستين سنتيمتراً (١)

الجبل قبل الاسلام وليس فى الايدي ما يستدل منه على منزلة تلك البلاد من العمران على عهد العرب وكانت قبيل الاسلام منازل قبائل بني غسان كما كانت البلاد المجاورة لها فقد بنى النعمان ابن المنذر الغساني من ملوك القرن الرابع الميلاد قصراً في السويداء بقي منه بعض جهاته ووجدت في صرخد (٢) صخرة اللات التي عبدها الانباط والعرب كما ذكر هيرودوتس وعليها كتابة تدل على أنها نصبت لذي الشرى وهو معبود نبطي له آثار في بصرى وبتره (وادي موسى)

الجبل في الاسلام والغالب ان صرخد حازت في الاسلام مكانة اعظم

---

(١) مجلة المقتبس (٢) دواني القطوف

من مكانة السويداء فبالغ الملوك بتحصين قلعتها ليدفعوا عوادي البدو عن القرى العامرة وقد كثر ذكرها في كتب التاريخ على عهد الدولة الصلاحية ومن بعدها من دول الجراكسة خصوصاً بعد أن استولى على الكرك والشوبك وغيرهما من الحصون المجاورة الملك الناصر السلطان صلاح الدين بن ايوب وولى اخاه الملك العادل أبا بكر بن ايوب عليها واصبح لتينك المدينتين شأن عظيم حتى عدت الكرك من الممالك مثل مملكة بعلبك ومملكة حماه ومملكة شيزر وغيرها ومعظم هذه الممالك أصبحت قرى حقيرة في القرون الاخيرة لغلبة الجهل على الحكومات التي تعاورتها ولقلة الامن وانتياب الغارات والزلازل والاوبئة التي اجتاحت سكانها

صرخد في التاريخ

ويؤخذ مما رواه ابو الفداء صاحب حماة ان بلاد صرخد وما والاها وبعبارة اخرى جبل الدروز كانت تدعى في عهده أي في القرن الثامن بجبل بني هلال قال :

« صرخد بلدة ذات قلعة مرتفعة وليس لها ماء سوى ماء المطر في الصهاريج والبرك وهي قاعدة بني هلال وليس وراء عملها من جهة الجنوب والشرق الا البرية من شرقيها تسلك طريق يعرف بالرصيف الى العراق وعلى هذا الطريق بين صرخد وبغداد عشرة أيام وقلعة صرخد شاهد أبد الدهر بعظمة تلك البلاد وهي كما قال الثقات اضخم وأهم من قلعة حلب »

وقد جدد الملك الظاهر بيبرس [١] فيما جدد من المصانع في بلاده ما تهدم من قلعة صرخد وجامعها ومساجدها وكذلك فعل ببصرى وعجلون والصلت وكانت قلعتا كواكب وعجلون [٢] لعز الدين ابن اسامة وكان هذا ملك صرخد سنة ثمان وست مئة للهجرة . وقال ابن خلكان : إنه ملك صرخد سنة احدى عشرة وستمائة قال لان استاذه الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ابي بكر بن ايوب حج في السنة المذكورة واخذ صرخد من صاحبها ابن قره جه وأعطاها مملوكه ايبك والظاهر ان الأول اصح واستمرت في يد ايبك الى سنة أربع وأربعين وستمائة فأخذها الملك الصالح ايوب بن الملك الكامل من ايبك المذكور . وممن تملك صرخد اقوش الافرم أحد امراء بني أيوب

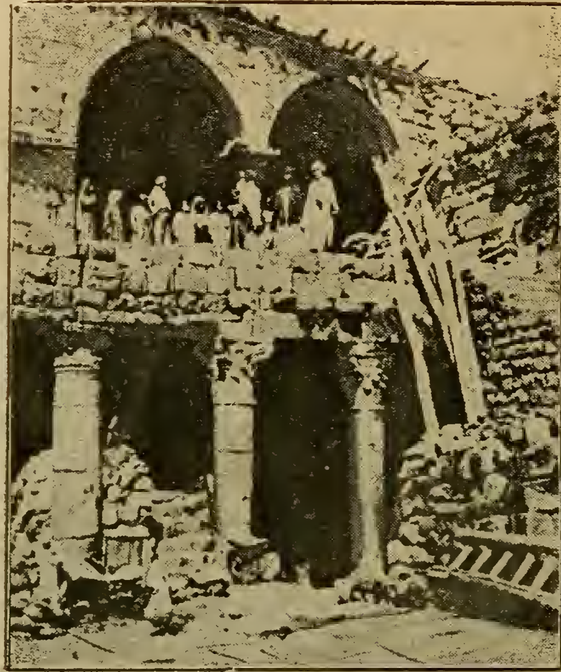
العلم في الجبل

ومن الأدلة على استجار العمران في الجبل انه نشأ من بعض امهات مدنه اعلام مشاهير ومنهم عز الدين السويدي [٣] من أهل القرن السابع كان عالماً عاملا ويونس بن ابراهيم بن سليمان الصرخدي النحوي اللغوي سنة ٦٩٨ وابراهيم بن سليمان التميمي الصرخدي الفقيه خطيب صرخد مات فيها سنة ٦١٧ وبدر الدين السلختي قاضي غزة نسبة الى صرخد ايضاً وبعضهم يقول صلخد وسلخة والاصح صرخد على ما يرى العارفون والروايات الثانية تحريف طرأ مثله على

---

(١) فوات الوفيات (٢) تاريخ ابي الفداء

(٣) تاريخ الاطباء لابن ابي أصيبعة



(الآثار في السويداء)



بلدان كثيرة في سورية مثل عربيل وجماعيل فيقولون عربين وجماعين لاستسهالهم النطق بالنون أكثر من اللام

نادرة عن عالمين من علماء الجبل

قال ابن أبي اصيبعة « حدثني نجم الدين حمزة بن عابد الصرخدي ان نجم الدين القمراوي وشرف الدين المتاني - وقمرا ومتان هما قريتان من قرى صرخد - قال كانا يشتغلان بالعلوم الشرعية والحكمية وتميزا واشتهر فضلهما وكانا قد سافرا الى البلاد في طلب العلم ولما جاءا الى الموصل قصدا الشيخ كمال الدين بن يونس (الفليسوف العلامة) وهو في المدرسة يلقي الدرس فسلما وقعدا مع الفقهاء ولما جرت مسائل فقهية تكلما في ذلك وبحثا في الاصول وبان فضلهما على اكثر الجماعة فاكرمهما الشيخ وادناهما ولما كان آخر النهار سألاه ان يريهما كتاباً له كان قد الفه في الحكمة وفيه لغز فامتنع وقال : هذا كتاب لم أجد أحداً يقدر على حله وأنا ضنين به فقالا له : نحن قوم غرباء وقد قصدناك ليحصل لنا الفوز بنظرك والوقوف على هذا الكتاب ونحن بائتون عندك في المدرسة وما نريد نطالعه سوى هذه الليلة وبالغداة يأخذه مولانا وتلطفا له حتى انعم لهما واخرج الكتاب فقعدا في بيت من بيوت المدرسة ولم يناما اصلاً في تلك الليلة بل كان كل واحد منهما يملي على الآخر وهو يكتب حتى فرغا من كتابته وقابلاه ثم كررا النظر فيه مرات ولم يتبين لهما حله الى آخر وقت وقد طلع النهار فظهر لهما حل شيء منه من آخره واتضح

اولاً فاولاً حتى انحل لهما اللغز وعرفاه فحملا الكتاب الى الشيخ وهو في الدرس فجلسا وقالا : يامولانا ما طلبنا الا كتابك الكبير الذي فيه اللغز الذي يعسر حله وأما هذا الكتاب فنحن نعرف معانيه من زمان واللغز الذي فيه علمه عندنا قديم وان شئت اوردناه فقال قولا حتى اسمع فتقدم النجم القمراوي وتبعه الآخر واوردا جميع معانيه من اول الكتاب الى آخره وذكرا حل اللغز بعبارة حسنة فصيحة فعجب منهما وقال : من اين تكونان قالا : من الشام . قال : من اي موضع منه . قالا : من حوران . فقال : لا اشك ان احدكما النجم القمراوي والآخر الشرف المتاني . قالا نعم . فقام لهما الشيخ واضافهما عنده واكرمهما غاية الاكرام واشتغلا عليه مدة ثم سافروا

متى نزل الدروز الجبل

ولم ينزل الدروز [١] الجبل المعروف باسمهم الا في القرون المتأخرة ويقول احدهم انهم رحلوا الى جبل حوران منذ نحو مئتين وعشرين سنة ايام ابتداء قوم من دروز لبنان يهاجرون واولهم امرة بني حمدان التي بطش بها التنوخيون امراء لبنان ومنذ ذاك الحين اصبح كل من يغلب في الحروب القيسية واليمنية في لبنان ومن عضه الدهر بنابه أو غضب عليه الحاكم يرحل الى ذاك الجبل ثم انضم اليهم اناس من دروز وادي التيم وصفد وجبل الاعلى والقنيطرة وجوار دمشق .

(١) مجلة المقتبس

كيف استولى الدروز على الجبل

وجاء في بحث (١) للمؤرخ الدقق الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف : أن المشايخ بني حمدان من كبراء الدروز في لبنان بعد الامراء كانوا في قرية (كفرا) من غرب لبنان قرب شملان في الشوف فناوأهم الامراء التنوخيون وخربوا قريتهم فساروا الى حوران منذ قرنين ونصف أو أكثر ومعهم آل نخو من الدروز ايضاً فهم اقـدم من سكن حوران . وكانت زعامة تلك البلاد بيد الحمدانيين ولا سيما بعد ان استظهر القيسيون على اليمنيين في موقعة عين دارة فوق قب الياس من البقاع اللبناني في سنة ١٧١١م فذهب الدروز اليمنيون الى حوران واعتصموا في الجبل الذي نسب اليهم ودانوا لمشايخهم الحمدانيين مدة قرنين ونيف الى ان ظهر آل الاطرش الذين سار جدهم من وادي التيم الى حوران واخذوا الزعامة من الحمدانيين وبقوا يديرون شؤون طائفتهم الى اليوم . وهم منتشرون في ثماني عشرة قرية هي : السويدا وعترة وارساس والمجيمر والقرية وبكه وحوط وذيبين وام الرمان وغرية شبيح وعنز وصرخد وشنيرة وامتان وعرمان وملح والهوية وابو زريق

حروب الدروز

وبعد ما نزل الدروز الجبال الحورانية (٢) رأوا انهم لا يستطيعون ان يصونوا حقوقهم وكرامتهم الا بالبطش والبسالة

---

(١) المقتطف : دسمبر ١٩٢٥ (٢) دائرة المعارف

فنمت القوة فيهم بضروريات حالهم وتأصلت الشجاعة في قلوبهم حتى اصبحوا أقدر الاهالى واشدهم صولة وانفذهم كلمة واسرعهم بطشاً وقياماً بحق الثار



الفصل الثاني

الدروز

نسب الدروز — أراء المؤرخين في نسبهم - عبيد الله المهدي — الحاكم بامره — محمد بن اسماعيل الدرزي — اشتقاق اسم الدروز — حمزه بن علي بن احمد — أصل منشيء الدرزية — نشوء الدرزية — هل الدروز من بقايا القرامطة — الادوار التي تقلبت عليها الدرزية — الدروز والمعنيون — الدروز بعد الدولة الفاطمية — الدروز في عهد السلطان سليم — الدروز عرب صحاح — ادلة الامير شكيب ارسلان — انقسامات الدروز الدينية - ماهم العقال - ماهم الجهال - واجبات العقال — تقاليد العقال — معلومات اخرى عن تقاليد العقال والجهال — العقائد الدرزية — أسباب تكتم الدروز — درجات الدرزية — اعتقاد الدروز — الاله — ابليس — كيف خلق الكون — سائر اعتقادات الدروز الدينية — الدرزية والتقمص — الدرزية وفروضها الدينية — ميثاق

ولي الزمان — الدروز والقرآن — لمن أوحي القرآن — اعتقاد الدروز في الحاكم بأمره — الدروز وتأويل القرآن — الدروز والصوم — هل يجوز لاجنبي ان يعتنق الدرزية — رأي الدروز في العقال والجهال — نقض المفتريات التي يفترى بها على الدروز — الزواج عند الدروز والطلاق — حقوق الزوجة عند الدروز — الدروز والمال — الخلوات — الدروز العقال ووسائل الانتقال — الدروز والمال — آداب الحديث عند الدروز — ذكر المرأة في المجتمعات — لباس المرأة العاقلة — موقف المرأة الدرزية العاقلة تجاه زوجها الجاهل

نسب الدروز

ينسب الدروز [1] الى رجل يقال له محمد بن اسماعيل الدرزي كان احد اصحاب دعوة الحاكم بامر الله العبيدي ويسمى في كتب هذه الطائفة نشتكين الدرزي والدرزي بالفتح معناه الخياط فارسي معرب والعامة تضم الدال وتقول في الجمع الدروز والصواب الدرزة محركة . أما الحاكم هذا فانه سادس خليفة من خلفاء الدولة العبيدية ويقال لهم الفاطميون ولقبه الحاكم بامر الله وكنيته ابو علي واسمه المنصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد بن المنصور اسماعيل بن القائم بامر الله محمد بن عبيد الله المهدي

---

(١) كتاب «حل الرموز في عقائد الدروز» للاستاذ سليم البخاري

آراء المؤرخين في نسبهم

واختلف المؤرخون في صحة نسبهم فبعضهم صححه وجعله متصلا بفاطمة الزهراء عليها السلام ونسب عبيد الله المهدي الى محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن اسماعيل ابن جعفر الصادق . وطعن اكثر العلماء والمؤرخين في هذه النسبة وجعلوا نسبهم متصلا بالحسين بن محمد بن احمد القداح وكان مجوسياً وقيل يهودياً فقالوا ان امهم فاطمة بنت عبيد اليهودي واسم المهدي هذا سعيد ولقبه عبيد الله وزوج امه الحسين بن محمد بن احمد عبيدالله القداح بن ميمون وميمون هذا هو صاحب كتاب الميزان في نصرة الزندقة وكان يظهر التشيع لآل البيت ونشأ لميمون عبد الله وكان يعالج العيون التي نزل اليها الماء بالقدح (وهو اخراج الماء الفاسد منها) وتعلم عبد الله من ابيه ميمون الحيل واطلعه ابوه على اسرار الدعوة لآل البيت ثم سار القداح من نواحي كرج واصفهان الى الاهواز والبصرة ثم الى سلمية من اعمال سورية يدعو الى آل البيت

عبيد الله المهدي

ثم توفي القداح وقام ابنه احمد مقامه وتوفي احمد وقام مقامه ابنه محمد ثم قام بعده ابنه الحسين وكان ببغداد فسار الى سلمية حيث كان له بها ودائع واموال من ودائع جده عبد الله القداح وكان يدعي انه الوصي وصاحب الامر والدعاة باليمن والمغرب يكاتبونه ويراسلونه واتفق انه جرى بحضرته حديث النساء بسلمية فوصفوا له امرأة رجل يهودي حداد مات عنها زوجها وهي في غاية الحسن والجمال

فتزوجها الحسين المذكور ولها ولد من اليهودي يماثلها في الجمال فأحبها وأحب ولدها وادبه وعلمه العلم فتعلم وصارت له نفس عظيمة وهمة كبيرة ومات الحسين ولم يكن له ولد فعهد الى ابن اليهودي الحداد وهو عبيد الله المهدي وعرفه أسرار الدعوة من قول رفعل واعطاه الأموال والعلامات فدعا له الدعاة

قال ابن خلدون : ولا يلتفت لانكار هذا النسب لأن اغراء المعتضد لابن الأغلب بالقيروان وابن مدرار بسلجماسة بالقبض على عبيد الله لما سار الى المغرب وشعر الشريف الرضي في قوله :

مامقامي على الهوان وعندي ... مقول صارم وانف حميّ
البس الذل في بلاد الاعادي ... وبمصر الخليفة العلويّ
من ابوه ابي ومولاه مولا ... ي اذا ضامني البعيد القصيّ
لفّ عرقي بعرقه سيد النـ ... ـاس جميعاً محمد وعليّ
ان ذلي بذلك الجد عز ... وأوامي بذلك الربع ريّ

شاهد بصحة نسبهم وأما المحضر الذي ثبت ببغداد ايام القادر بالقدح في نسبهم وشهد فيه أعلام فهي شهادة على السماع

وبدأت دولة الفاطميين من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين الى سنة سبع وستين وخمسمائة وفي ايامهم كثرت الرافضة واستحكم امرهم ووضعت المكوس على الناس واقتدى بهم غيرهم وأفسدت عقائد طوائف من اهل الجبال الساكنين بثغور الشام كالنصيرية والدرزية . والحشيشية نوع منهم



جماعة من الدروز

الحاكم بأمره
والالوهية

وكانت أحوال الحاكم بأمر الله (١) متناقضة فمنذه

ولد الحاكم بامر الله في مدينة القاهرة سنة ٣٧٥ هجرية وهو السادس بين الخلفاء الفاطميين وأول واحد منهم ولد في مصر وبويع بالخلافة بعد والده العزيز سنة ٣٨٦ وهو في الثانية عشرة من عمره فاستهل حكمه بقتل مربيه ووزيره لانه كان يمنعه عن اللهو واللعب ولما صار في السابعة عشرة اظهر اهتماماً كبيراً في امور الممالك وظهرت عليه لوائح الفراسة والذكاء ولكنه اظهر ميلاً غريباً الى الاستبداد وسفك الدماء وجعل في اول دأبه الركوب على الخيل والتجول في شوارع القاهرة ليرى خضوع الناس له وتسابقهم الى اكرامه وكتب اوراقاً يشتم فيها اكابر الصحابة وفي مقدمتهم ابو بكر وعمر بن الخطاب وكل من والاهما وكان يكره النساء ويشدد عليهن بالاختفاء والتستر فلا يصرح لهن بالسير في السكك من دون نقاب ثم أمر بحبسهن في بيوتهن سبع سنين ونبه على عاملي الاحذية بعدم صنعها لهن حتى لا يتمكن من الخروج

وفي سنة ٤٠٧ للهجرة جاهر الحاكم بما كان ينويه واعلن انه اله فوافقه على ذلك فارسي اسمه حمزة بن علي كان وزيراً له وآخر من اهل الديانة الباطنية اسمه نشتكين الدرزي ودار هذا الاخير في جوامع القاهرة يشتم الاولياء وآل الصحابة ويبشر بالوهية الحاكم بامره فقام عليه الناس يوماً في وسط الجامع ونكلوا به وكانوا على وشك قتله لولا ان يتداركه بعض الجند فلما رأى الحاكم تعصب القوم عليه وعلى مأجوره اضمر لهم السوء ولكنه لم يقو على إبقاء الدرزي في مصر فبعث به الى بلاد الشام وكانت تابعة له وهناك لقي الدرزي ما لم يكن ينتظره من النجاح وكان الحاكم يحتال بكل حيلة لاقناع الناس بقدرته وعلمه ومن ذلك انه ارسل مرة وراء بعض الاشقياء وعلمهم ان يسرقوا من مخازن مصر في احدى الليالي اشياء معلومة فأطاعوا امره وكان قبل ذلك قد امر الناس بترك بيوتهم ودكاكينهم مفتوحة طول الليل بدعوى ان السرقة لا تجوز في ايامه وتعهد لكل من يسرق له شيء برده ومعرفة السارق فلما دار الذين استأجرهم للسرقة واخذوا ما اخذوه تقدم اليه اصحاب الحاجيات يشكون اليه الامر فقال اذهبوا الى ابي الهول الذي صنعته يخبركم بما تريدون وكان قد صنع تمثالا من النحاس على صورة ابي الهول

شجاعة وجبن ومحبة للعلماء وانتقام منهم وميل الى أهل الصلاح وقتلهم وسخاء ويبخل بالقليل . لقب نفسه الحاكم بأمر الله ولما زاد ظلمه عن له أن يدعي الألوهية اقتداء بفرعون فأخذ يمهد لذلك المقدمات فلقب نفسه الحاكم بأمره وامر الخطباء بان يقرؤا بدل البسملة (باسم الله الحاكم المحيي المميت) وصار يدعي علم المغيبات باتفاق اعتمده مع العجائز اللواتي يدخلن بيوت الامراء وكان عنده من دعاته رجلان اعجميان من دعاة الباطنية

محمد بن اسماعيل الدرزي

احدهما يقال له محمد بن اسماعيل الدرزي وثانيهما يقال له حمزة بن علي بن احمد . أما الاول فانه قدم الى مصر في اواخر سنة سبع وار بعمائة ودخل في خدمة الحاكم ووافقه على اثبات دعوته بالالوهية وصنف له كتاباً كتب فيه ان روح آدم انتقلت الى علي ابن ابي طالب ومنه الى اسلاف الحاكم متقمصة من واحد الى آخر حتى انتهت الى الحاكم وقرئ هذا الكتاب في جامع الازهر بالقاهرة

ووضع من داخله رجلا يعرف اسماء السارقين والذين سرقت الاشياء من دكاكينهم فاذا جاء الرجل منهم وقص حكايته اجابه الرجل من داخل الصنم ان اذهب الى بيت فلان تجد حاجتك وصحت اقاويله فهال الناس الامر واعتقدوا في الخلفية اشكالا وألواناً ثم جيء بالسارقين وكانوا اربع مئة شقي فأمر الحاكم بامره بشنقهم جزاء جناياتهم فشنقوا جميعاً ضحية حيله وعم الامن في المدينة حتى لم يعد الناس يسمعون بجناية أو بسرقة لان صاحب النفس الامارة بالسوء صار يعتقد أن قدرة السلطان تكشف فعله ويشنق . وكان للحاكم بأمره منظر مهيب وعينان تتقدان مثل الجمر وصوت جهوري ووجه يرجف الابدان حتى ان الناس كانوا يتحاشون النظر الى وجهه لئلا يصيبهم من عينه ضر . وكانت له اخت اسمها ست

فهجم الناس على مؤلفه ليقتلوه ففر منهم وحدث شغب عظيم في القاهرة ونهبوا بيت الدرزي وقتلوا كثيرين من اصحابه فارسله الحاكم سراً الى بر الشام فنزل بوادي التيم بالقرب من جبل الشيخ وهناك نادي بالوهية

اشتقاق اسم الدروز

الحاكم وكان الامراء التنوخيون الذين قدموا من العراق الى الشام من الباطنية ولذلك كانوا مستعدين لقبول دعوة الدرزي فانقادوا اليها ومن ذلك تسميتهم بالدروز . وقتل الدرزي المذكور في واقعة مع التتر سنة احدى عشرة واربعمائة

حمزه بن علي ابن احمد

وثانيهما حمزه بن علي بن احمد وكان وقع الخلاف بينه وبين الدرزي وبعده تقدم مكانه ودعا بالوهية الحاكم فاجابه البعض واتخذ معبداً سرياً لعبادة الحاكم وجعل نفسه ثانياً له فهو

الملك يكرهها كما يكره سائر النساء واتهمها يوماً بامور لا تليق حتى انه ارسل وراء بعض الاطباء وكلفهم ان يذهبوا اليها في مهمة صعبت عليهم وعليها فلما ان سمعت بذلك وعلمت ان ساعة افتضاحها أو موتها قربت ارسلت وراء رجل من اعوانها اسمه ابن دواس وكان يكره السلطان لجوره وظلمه وعرضت عليه قتل اخيها فرضي الرجل بذلك واستعد للفتك بمولاه في الغد وكان الحاكم في تلك الايام يركب كل يوم حماره ويقصد القرافة فلما خرج في صباح احد الايام سنة ٤١١ هجرية قال لامه ان ذلك اليوم كان خطيراً لديه وانه رأى في الكواكب انه سيمر عليه خطر جسيم فان خلص منه عاش طويلا وان ظهرت له في القرافة علامة يعرفها كان هلاكه محتما فلما صار في المحل المعهود تطلع فيما حوله فرأى العلامة التي كان يخشى عاقبتها وصاح في الذي معه قائلا (انا لله وانا راجعون ظهرت العلامة ودنت المنية) ولم يتم قوله هذا حتى طلع عليه ابن دواس في بعض الرجال فقتلوه واخفوا جثته (ملخصاً عن «حسر اللثام عن نكبات الشام» — ط ١٨٩٥م)

مقدس محترم عند القائلين بالوهية الحاكم يلقب عندهم بهادي المستجيبين وحجة القائم وغير ذلك . وهم يكرهون محمد الدرزي ويشتمونه ويكرهون القسمية باسمه لما انه اراد ان يغتصب منصب حمزه ويتقدم عليه بما فعله كما يعلم من رسالة الغاية والنصيحة من كتبهم ولما قتل الحاكم قرب حلوان مصر زعم الدروز انه خرج في ليلة منفرداً الى البركة الزرقاء ومن هناك عرج الى السماء مختفياً عن اعين الناس وكتب حمزة بعد وفاة الحاكم الرسالة المسماة بالسجل المعلق وعلقها على ابواب الجامع وفيها يقول ان الحاكم اختفى امتحاناً لايمان المؤمنين وشرع حمزة يزرع في القلوب بذر الاعتقاد بالوهية الحاكم وتوحيده وعبادته ويجتمع هو واتباعه في المعبد السري يعبدون الحاكم حتى ثارت عليهم المسلمون وظفروا بهم وطردوهم ففروا من مصر ونزل بعضهم في الجبل الاعلى من الديار الحلبية وبعضهم في جهة حوران ثم تفرقوا من هناك فذهب بعضهم الى جبل الشوف والآخر الى وادي التيم

وقد اطلع المؤلف في مجلة الزهرة[١] التي تصدر في حيفا على بحث قيم في الدروز والدرزية للاستاذ الاديب السيد هاني أبي مصلح فاقتطف منه ما يلي :

اصل منشيء الدرزية — ينسب الدروز الى رجل من دعاة الفاطميين اسمه

(١) مجلة الزهرة : العدد الثالث (سبتمتر سنة ١٩٢٥) من السنة الخامسة



احتفاء الدروز بالجنرال سرايل (انظر صفحة ٩٨)

نشتكين الدرزي كان الحاكم بامره ارسله الى سورية لاجل نشر المذهب الذي كان عليه الفاطميون ثم غضب عليه الحاكم لانه بلغه عنه انه انكر ربوبيته فأمر بقتله فقتل مع رفيق له يدعى البرذعي وقد رأيت في بعض الكتب ان هذا الرجل من الاتراك وانه كان خياطاً بمصر ثم دخل في خدمة الفاطميين وارسل الى سورية وكذلك البرذعي هو تركي وكانت صنعته بمصر قبل دخوله في خدمة الحاكم صنع البراذع ونشتكين الذي ينسب اليه الدروز هو غير انوشتكين القائد الوارد ذكره كثيراً في تاريخ تلك الايام السود . هذا والدروز يلعنون اليوم نشتكين المذكور ويبرأون منه ولكن نسبتهم اليه كانت قد سبقت هذه البراءة فلصقت بهم على شدة كراهتهم لها

نشوء الدرزية ولا ريب ان الافكار الشعوبية كان لها اكبر أثر في ايجاد المذهب الدرزي وكثير من الآراء التي حفظتها لنا رسائل اخوان الصفاء هي ظاهرة في الدرزية وتعد من اركان المذهب . ولا ريب ان الفرس كانوا المثيرين لهذه الحركة والزارعين لبذور هذه الفتنة لاجل هدم مجد العرب بهدم الاسلام لانه ثبت لهم ان العرب لولا الاسلام ما استطاعوا ان يلموا شعثهم ويجمعوا كلمتهم ويستولوا على ممالك كسرى وقيصر في القصير من الزمان . وكذلك رأوا العرب بعد الفتح يفخرون عليهم بالاسلام وبما تضمنه القرآن الكريم من الآي الحكيم فارادوا معارضة هذا الدين بعلوم الفرس واليونان وغيرهم تزهيداً به وزراية عليه للتكبح من جماح الغالين بعصبيتهم من

العرب فاخذوا يعملون سراً لنشر الاراء التي كانت الدرزية بعدئذ من نتائجها في ربوع الشام . ومن رأي البعض ان الدروز هم من القبائل العربية التي دخلت بلاد الشام قبل الاسلام وتدينت بالنصرانية فلما جاء الاسلام دخلت فيه لانه دين العرب مع اصرارها على ما كانت لقنته من التعاليم قبل ذلك . فحينما شاعت تعاليم اخوان الصفاء في زمن كانت العقائد فيه قد مرجت واضطرب حبل الحق وغم سبيله على الناس بسبب ظلم الحكام وفساد الاحكام وتمويه العلماء واتخاذهم الدين تجارة وولوع اشباه العلماء بنقل فلسفة اليونان الى العربية نقلاً مشوشاً مختلطاً — أقول حينما شاعت تلك التعاليم وجدت في رؤوس تلك القبائل تربة قابلة للزرع فزرعت — وجاءت الدعوة الفاطمية تريد انتزاع الملك من العباسيين فتوسلت الى ذلك بالدين وضربت للنفوس على وتره فما لبثت الدرزية ان اخرجت رأسها

هل الدروز من بقايا القرامطة

وشيء آخر اؤيد فيه مذهب المؤرخ المرحوم الشيخ محيي الدين الخياط فقد ذكر في كتابه ان الدروز والنصيرية هم من بقايا القرامطة في بلاد الشام وهذا رأي أظن ان المرحوم انفرد به بين الذين كتبوا في تاريخ بر الشام ولكنه بلا ريب رأي صحيح لان في الكتب المحفوظة عند الدروز اشياء كثيرة تدل عليه والقرامطة لما اقتلعوا الحجر الاسود من الكعبة لم يردوه الا بعد ان امرهم الخليفة الفاطمي في مصر برده والدروز الى اليوم اذا ارادوا ان يصفوا احد مشايخهم بشدة تمسكه بالدين قالوا عنه انه قرمطي .





الـكابتن كاربييه

هذا ولا يجوز ان يفهم من قولنا هذا ان عقائد القرامطة باقية في المذهب الدرزي لان ما ذكره المؤرخون كأبي الفداء مثلاً عن مذهب القرامطة لا يلتئم مع الذي عرفناه من عقائد الدروز بشيء بتة اللهم إلاّ في الغلو الذي لا مسوغ له . فالظاهر انه بعد قضاء بني حمدان على القرامطة سكنت بقاياهم بلاد الشام واندمجت في القبائل العربية التي دخلت بعدئذ في الدرزية وكانت لا تزال تسعد الخلاف ، فكان ذلك ايضاً عوناً على نجاح الدعوة الفاطمية في استمالة القبائل المذكورة اليها

الادوار التي تقلبت عليها الدرزية

وجاء في دائرة المعارف البستانية : عند خروج بني اسرائيل من مصر وفلق البحر الاحمر وانقاذ الله سبحانه وتعالى اياهم واغراق آل فرعون سارت منهم فرقة واستوطنت اليمن ومنها أمراء آل تنوخ ملوك اليمن وهم اول من أدى شهادة لا اله الا الله بعد مبايعة الصحابة العشرة للرسول (صلعم) تحت الشجرة . وهؤلاء هم أمراء الطائفة الدرزية . و تنوخ ابن قضاعة واليه ينسب حي بن لخم . ولخم بن عامر بن مالك . ومنهم ملوك العرب في الجاهلية واولهم يعرب بن قحطان أو سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان ثم ابنه حمير ثم أخوه كهلان ثم ولده حمير وهم ملوك التبابعة ورحلت فرقة منهم الى الحيرة فملك عليهم مالك بن تميم ابن اوس بن الازد بن غوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان ابن يشجب بن يعرب بن قحطان . ثم ابنه جذيمة الوضاح ثم ابنه امرء القيس ثم ابنه عمرو ثم اخوه النعمان بن المنذر ثم ابنه

الاسود ثم ابنه المنذر ثم ابنه قابوس ثم اخوه النعمان آخرهم الذي قتله ابرويز كسرى قبل المبعث بسبعة اشهر

الدروز والمعنيون

وكانت مدة ملوك الحيرة ٥٣٠ سنة. والملوك المذكورون هم تنوخ وعشيرتهم الدروز فأتوا الحيرة معهم وكانوا ملة العرب المنتصرة وكان هاني بن مسعود منهم وهو فارسهم الذي قاوم بعربه ملك كسرى . فانتصر العرب حينئذ على العجم وكانت من أعظم الحروب . ثم حضر التنوخيون وعشيرتهم الدرزية الى العراق والجزيرة والمعرة الداخلية . وعند قتل كسرى ابرويز النعمان الاكبر وخلفه لخم النعمان ونال مرتبة ابيه في العلو والشرف رحل ومعه اثنتا عشرة طائفة من اصحاب النسب الى معرة حلب وسكنوا فيها مدة طويلة. وصاهر النعمان ألامير معن لان الامراء المعنيين ينتسبون الى بني ايوب ملوك بغداد وثغورها واجدادهم بنوا حصن الاكراد . ومات النعمان في معرة حلب وكان اسمهم وقتئذ الامراء بني هاشم التنوخي وبني الامير فوارس وبني عبد الله وبني مطوع وبني خالد وفي صدر الاسلام جاء بعض الصحابة لفتوح الشام فاتى بعض التنوخيين وعشيرتهم لنصرتهم واتوا بيروت سنة ٢٠٥ هجرية : وهم اول المجاهدين في فتوح بر الشام واقاموا شعائر الهدى وملكوا بلاد الغرب وجبل بيروت (لبنان) وطردوا سكانه وأقاموا به . وانتسبت هذه الطائفة الى الملوك الفاطميين في مصر وأصبحوا أعز رجالهم وكانت من انصار الحاكم وهو من





الدروز يحتفلون بالجنرال سرايل (انظر صفحة ٩٨)

الفاطميين ولما ولي الحاكم الدرزي نسبوا اليه مع انهم يردون عقائده ووقعت مخاصمة بينهم وبينه فقتله أحد اكابرهم

الدروز بعد الدولة الفاطمية

وبعد الدولة الفاطمية حضرت فرقة من هذه الطائفة كانت متأخرة في حلب وغيرها مع امرائها المعنيين الى جبل الشوف وغيره من لبنان وسكنوا هناك وكان الامراء التنوخيون وعشيرتهم امراء زمانهم وكان الملوك يعززونهم ويجعلونهم في الرتب العالية . وكانت لهم عندهم آثار اقدار واسرار كنوز الدين الشهيد الذي رفع مقامهم وحفظ مكانتهم ورعى ذمامهم وكهولاكو خان فاتح الممالك الذي اقطعهم وفوض اليهم الامور

الدروز في عهد السلطان سليم

وكذلك الملك اينال وغيرهم ولما حمل المرحوم السلطان سليم لفتح بر الشام توجه الامير فخر الدين معن الاول الدرزي وطائفته لنصرته ففازوا ونالوا التفاتاً سلطانياً ومكافأة لانهم اظهروا من الشجاعة والبسالة ما لا مزيد عليه . وقلد ذلك الامير ولاية صيداء مكافأة له . وكانت ولايتهم ممتدة من غزة الى اللاذقية مع لبنان . وعند ذلك افلت شموس آل تنوخ وساد طالع آل معن ولذلك يسمى لبنان بجبل معن

الدروز عرب صحاح

واطلع المؤلف في جريدة الشورى [١] التي تصدر في القاهرة على مقال ممتع للزعيم والكاتب العربي الكبير

---

(١) الشورى : السنة الاولى — العدد ٤٩ (١ اكتوبر سنة ١٩٢٥)

الامير شكيب ارسلان تناول فيه الكلام على نسب الدروز ومما قاله في هذا العدد : ورد في مقالة مترجمة عن الالماني كلام عن الدروز يزعم الكاتب فيه ان الدروز كسائر اهل سورية من اجناس مختلفة وهذا الكلام خبص في خبص كسائر تخاليط الافرنج اذا شرعوا في الكلام على الشرقيين

فالدروز في النسب عرب اقحاح لا يوجد في العرب الجالين عن جزيرة العرب أصح عروبية منهم

ادلة الامير شكيب ارسلان

تستدل على ذلك اولاً من سحنتهم العربية الصرفة وتشابه بعضهم لبعض إذ لا يوجد قبيل يشبه بعضه بعضاً مثل الدروز وكان استاذنا الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله كثيراً ما يفضي الي بعجبه من شدة هذا التشابه فيقول لي : اذا رأيت الرجل المعروفي فكأنك رأيتهم جميعاً

ثانياً نقاوة لغتهم العربية واخراجهم الحروف من مخارجها الصحيحة فلا تجد في الخارج عن جزيرة العرب من يتكلم بالعربية مثل الدروز ولا من يتلفظ بالعربية مثل الدروز وان المرأة منهم لتسوق الحديث بعبارة ان لم تكن معربة فهي فصيحة صريحة متينة مستعملة فيها الكلمات بالمعاني التي وضعت لها فتجدها اصح لغة من الرجل العالم النحوي من غيرهم والفصاحة التي اشتهر بها الدروز رجالاً ونساء آتية من كونهم عرباً .

ثالثاً التواريخ التي عند الدروز والتي عند الطوائف الاخرى

المساكنة لهم في جبل لبنان متفقة على كونهم ابناء اثنتي عشرة قبيلة عربية هاجروا من ديار حلب الى لبنان في اوائل عهد العباسيين – ولا تزال منهم بقية في الجبل الاعلى بجهات حلب – وهذه القبائل كانت أوطنت بلاد معرة النعمان منذ أوائل الفتح العربي . ثم ان التواتر فيما بينهم مأثور من الخلف عن السلف يؤيد هذه التواريخ المكتوبة

رابعاً انهم كانوا من الشيعة السبعية أي القائلين بالائمة السبعة وهم فرقة من الشيعة . فلما كانت الدعوة الفاطمية وتلقاها بعض الشيعية فكان منهم الاسماعيلية وكان منهم الدروز وانقسمت بعض العائلات الى قسمين منهم من بقي على التشيع الاصلي ومنهم من غلا غلو الفاطميين . ولكن هذه العائلات التى اصلها واحد معروف كثير منها الى هذا اليوم وهم يعرفون انهم أقارب. وهؤلاء دروز وأولئك متاولة أي شيعة . وذلك مثل بني أبي علوان وبني عبد الصمد وبني المصري وبني القنطار وغيرهم . وكذلك موجود قرابات عصبية بين كثير من الدروز والمسلمين السنيين وان كانت هذه القرابات اكثر منها بين الشيعيين والدروز وذلك مثل بني ابي شقرا وبني الاعور وغيرهم ولا يخفى ان الشيعة في سورية هم عرب اقحاح ايضاً وبلادهم جبل عاملة انما سميت كذلك لنزول عاملة قبيلة من عرب اليمن بذلك الجبل كذلك تجد اسماء كثيرة منسوبة الى قبائل يمانية مثل السكسكية في ساحل عاملة بقرب صيدا وهي نسبة الى السكاسك من عرب اليمن وغيرها مما لم يحضرني الآن بدون مراجعة كتب . وتجد بيوتات كثيرة

محفوظة انسابها الى قبائل العرب مثل اخواننا الامراء آل الحرفوش في بعلبك المنسوبين الى خزاعة ومثل اخواننا البكوات آل علي الصغير المنسوبين الى وائل وغيرهم مما لا يحصى . فاذا تقرر ان الشيعة عرب فالذين اصلهم من الشيعة عرب . أما الذين أصلهم من أهل السنة فلا بد من أن يكونوا من أهل السنة العرب أيضاً بدليل السحنة اذ ان السحنة العربية لا تخفى . ثم بدليل انهم منذ تسع مئة سنة اي منذ وقع هذا الانشقاق من الشجرة الواحدة لا يزال بعضهم يعرف بعضاً ولا يوجه حفظ الانساب الى هذا الحد مع تعاقب القرون العديدة الا عند العرب

فلو كان أولئك المسلمون الذين تشعب من دوحة نسبهم كثير من بني معروف هم من الاراميين أو الكلدانيين أو من الذين اسلموا من اليونان أو الرومان أو الترك أو الكرد ما كان نسبهم محفوظاً

خامساً في الدروز انفسهم بطون وافخاذ معروفة الانساب الى قبائل العرب ، هذا الى لخم وذلك الى طي ، واناس الى تميم واناس الى كلب ومنهم من درست صلاتهم باقاربهم فى القبائل ، ومنهم من لا تزال معروفة مثل بنى عزام الذين لهم اقارب في الشرارات ومثل بني قعيق وبين ركين وبني خميس الذين لهم اقارب في عرب العراق

نعم يوجد في الدروز بعض عائلات وجيهة اصلهم من الاكراد والاتراك وهم معروفون وعددهم قليل جداً وهذا لا يخرج هذه الطائفة عن صراحة النسب العربي لان العبرة بالسواد الاعظم كما لا يخفى . اه

انقسامات الدروز الدينية

وينقسم الدروز [١] الى عقال أو اجاويد أي الذين يعرفون الامور الدينية وجهال أو الذين يجهلونها . والعقال درجات بحسب التقوى والمعرفة والادراك ويشترك النساء في العقل الديني مع الرجال ولا يقبل بانتظام جاهل في سلك العقال الا بعد تكرار الطلب وتأكد شيخ العقل في القرية أو الناحية انه مستحق فاذا كان ذا أهلية يرتقي من درجة الى درجة . ويقال ان اعلاها مطالعة كتاب ذي شأن من كتبهم. ويجتمعون في الليل من كل يوم جمعة في خلواتهم ليسمعوا قراءة كتبهم الدينية . فمنهم من ينصرف باكراً ومنهم في وسط السهرة ومنهم في آخرها بحسب الدرجة وربما وقع هذا التفاضل في كل اجتماع أو في بعض الاجتماعات

ما هم الجهال

والجهال أي الذين لا يعرفون نصوص الدين وقواعده لا يشتركون في الاجتماعات الدينية الا في عيدهم وليس لهم غير عيد واحد يقع في عيد الضحية . ومن المفروض على العقال الرزانة والتأني والعفة وصيانة اللسان من كل شتم وسب وطعن وبساطة الملبوس والمأكول والامتناع عن المسكرات والتدخين ومجانبة المال الحرام وهو عندهم كل مال يجلب بالظلم أو بالحيل والكذب

واجبات العقال

وجاء عنهم في مكان آخر من الدائرة أيضاً : وقد أمر عقالهم بتجنب الشك والشرك والكذب والقتل والفسق والزنا والسرقة والكبرياء والرياء والغش والغضب والحقد والنميمة والفساد

---

(١) دائرة المعارف

والخبث والحسد وشرب الخمور والطمع والغيبة وجميع الشهوات والمحرمات والشبهات ورفض كل منكر من المآكل والمشارب ومجانبة التدخين والهزل والمساخر والهزء والمضحكات وجميع الافعال المغايرة لارادته تعالى . وترك الحلف بالله صدقاً أو كذباً والسب والقذف والدعاء بما فيه ضرر الناس .

تقاليد العقال

وعندهم انه على كل مؤمن التحلي بالعفاف والطهارة والفعل الجميل والكرم بالعلم والمال وخوف الله وطاعته والرصانة وصيانة العرض وصدق اللسان وصونه من الافك والاثم والزور والبهتان مع استمرار ذكر الله وتسبيحه وتقديسه وتقديم الصلوات والتضرعات والتوسلات لعزته تعالى . ولا يجوز لعاقل ان يخلو بامرأة ولا ان يرد تحيتها ما لم يكن بينهما ثالث . وشأنهم التهذيب وكره الزيف والترف . وكل عاقل ارتكب القتل أو الزنا أو السرقة أو غيرها من الآثام يطرد من مجلس العقال الذين يجلسون للقيام بالفروض الدينية ويبقى مطروداً الى ان تحقق ندامته وتوبته

معلومات اخرى عن تقاليد العقال والجهال

وقال الاستاذ سليم البخاري في كتابه «حل الرموز في عقائد الدروز» : الدروز يقسمون الى قسمين العقال والجهال ويقال لهم أيضاً العوام ونساؤهم أيضاً ينقسمن الى قسمين عاقلات وجاهلات فيقال للعاقلة جويدة وللجاهلة غير جويدة والعقال طبقتان طبقة الخاصة وهي التي يعتمد عليها ويوثق بها حقاً اذ انها حصلت على تمام المعرفة باسرار الديانة وطبقة العامة وهي التي

بحسن الظن بها وأما الجهال فلا حظ لهم من الديانة سوى الدخول تحت اسم الدرزية واينما وجد هؤلاء العقال تتخذ هناك معابد للعبادة يسمونها بالخلوة وهي حجرة ضمن حجرة وفي كل ليلة جمعة يلتئم أهل كل طبقة في الخلوة الخاصة بهم ويجتمعون جميعاً في الخلوة الخارجية فيقرأون شيئاً من المواعظ ومن هؤلاء العقال طبقة اتقياء يقال لهم المتنزهون وهم مثابرون على العبادة والورع ومنهم من لم يتزوج ومنهم من لم يأكل لحماً مدة حياته ومنهم من هو صائم كل يوم ولهم زيادة احتياط في التورع حتى انهم لايذوقون شيئاً من بيت أحد من غير العقال والعقال جميعهم يعتقدون أن أموال الحكام والامراء حرام فلا يأكلون شيئاً من طعامهم ولا من طعام خدمهم حتى ولا من طعام حمل على دابة مشتراة من مال حاكم لكنهم يستحلون اموال التجار من أي جهة كانت فان حصل في أيديهم شيء من مال اعتقدوا حرمته يذهبون به الى احد التجار فيستبدلونه منه وينزهون السنتهم عن الفاظ الفحش والبذاءة ويتجنبون الاصراف لانه يورث نقصاً في اخلاق الموحدين عندهم

العقائد الدرزية — والعقائد الدرزية[1] أسرار عميقة ،وضعها المؤسسون، من حمزة بن علي بن احمد الى الحسن بن الصباغ «الى الحاكم بأمره» ابو علي المنصور الخليفة السادس الى « نشتكين الدرزي » الذي دخل بلاد الشام ، ودعا الناس الى التوحيد ، وقد قتل نشتكين

---

(١) من بحث للباحث السيد حنا أبي راشد المعروف بالرحالة

سنة ٤١١ هجرية لانه جعل نفسه «سيف الايمان» و«سيد الهادين» ولكن الاسم لم يتغير بعده ، مع ان الدروز يمقتونه ويلعنونه في مجالسهم الدينية ولما قتل نشتكين أقفل باب الدعوة الدرزية في وجه كل طالب لاسباب ثلاثة

اسباب تكتم الدروز

الاول — حصر الدعوة في الذين آمنوا

الثاني — خوف افتضاح السر الذي لاجله ، تأسس المذهب — من دخول دخيل ، يجهلون مقاصده الخفية

الثالث — لتمكين اتحاد كلمتهم ، والمحافظة على كتبهم الخطيرة من السرقة ، لانهم يعتبرون انفسهم جمعية سرية إجتماعية أكثر مما هي دينية

وعلى هذا قطعوا كل علاقة مع ابناء مذاهبهم وجعلوا جمعيتهم الدينية تقسم إلى قسمين :

فالقسم الاول — روحاني ، والروحاني — أي الذي بيده أسرار الطائفة — ويقسم أيضاً الى ثلاثة أقسام ، رؤساء ، عقلاء ، اجاويد

والقسم الثاني — جسماني ، والجسماني — أي الذي لا يبحث في الروحيات بل يبحث في الدنيويات — يقسم الى قسمين : امراء ، جهال

درجات الدرزية

فمن هذا التحليل ، يتبين طريقة الدرجات الدرزية في الطائفة ، فالرؤساء ، بيدهم مفاتيح الاسرار العامة . والعقال ، بيدهم



الجنرال سرايل



مفاتيح الاسرار العامة . والعقال بيدهم مفاتيح الاسرار الداخلية . والاجاويد بيدهم مفاتيح الاسرار الخارجية . والامراء الجثمانيون بيدهم مفاتيح الاسرار الخاصة وزعماء الجهال بيدهم قبضة السيف والزعامة الوطنية

وأما الجاهل — فهو بنظرهم جاهل ، ولو كان صاحب الديبلوم العالي فلا يحق له الدخول في مجالس الطائفة ، ولكنهم يعتبرونه كالحارس الذي يحرس قصراً يراه بديعاً في الخارج ويجهل معرفة أسراره الداخلية . وهكذا يعيش الجاهل منهم درزياً ويموت درزياً ولا يعلم من الدرزية سوى درزيته فقط ، وللنساء الدرزيات في الجبل عادات واعمال خاصة ، وهن على أربعة أنواع : عاقلات ، جويدات ، راقيات جاهلات ، والجاهلات لهن في الحرب الفضل الاول في مساعدة رجالهن لجلب الماء وتدبير الغذاء وتنظيم الشؤون ورعي الحاشية والقيام بالزراعة أيضاً . ولكن الويل للمرأة التي يطلقها زوجها لان شرعهم لا يجيز ارجاعها الى زوجها حتى لو كانت ذات عشرة أولاد

اعتقاد الدروز الاله ـ ابليس

واعتقاد الدروز[1] هو انه يوجد الله واحد قديم لا بداية له ولا نهاية موصوف بكافة الاوصاف الكمالية وهذا الاله خلق النور والظلمة فكان النور العقل الكلي وهو روح نبيه العظيم ورسوله الكريم حمزه بن علي بن احمد هادي المستجيبين وكانت الظلمة روح الطناق ويسمونه ابليس اللعين ولهم في تفسير اسم ابليس تعليل مضحك وهو انه مركب من لفظتي اب وليس أي انه ولد زنا ليس له أب

---

(١) حل الرموز في عقائد الدروز

كيف خلق الكون

ويعتقدون أيضاً ان العالم قد خلق دفعة واحدة وان البشر خلقوا سوية وليسوا بمتناسلين من أب واحد بل من حين الخليقة وجد الحايك في نوله والبنا على الحائط الى آخره وان عدد انفس البشر لايزيد ولا ينقص وكلما مات انسان انتقلت روحه لمولود جديد يسمى ذلك عندهم الفرقة والخلقة أو التقمص معبرين عن الجسد بالقميص فكما ان القميص هو لباس الجسد يتغير ويبلى فهكذا الجسد هو لباس النفس يتغير ويبلى ويشبهون النفس بالسائلات التي تحتاج الى أناء يضبطها فاذا كسر فلا بد من تلقى السائل في أناء غيره لئلا يهرق ويضيع وان سكان الارض انقضت ايامهم قبل ايجاد البشر منهم الجن والبن والطم والرم وغيرهم وانه مضى على البشر سبعون دوراً

سائر اعتقادات الدروز الدينية

وكل دور منها ضمنه سبعون دوراً وكل دور منها سبعون الف سنة وذلك من ابتداء خلق البشر الى ظهور الحاكم بامره (يريدون بأمره اي انه الحاكم بأمر نفسه) البالغ ذلك ثلثماية وأربعين الف الف سنة وان ظهور الحاكم كان في نهاية العالم الجسماني والمدة من زمنه الى الآن هي من زمن القيامة التي فيه ظهورها وان الاله حال دون ادراك ذاته ولاهوته بحواس الجسد الانساني امر مستحيل واذا لم يظهر ذاته لمخلوقاته فلا تكون له عليهم الحجة فلعدله قد أظهر ذاته للبشر في كل دور بواسطة الحجاب الذي هو الجسد يكلمهم منه ويلزم ان يكون حجابه من أشرف مخلوقه ولذلك قد ظهر لهم بصورة الحاكم بأمره

الذي هو ملك عظيم لأن من ولي على رجال كان له عقل الجميع وان الحاكم المذكور يحكم على ألوف كثيرة فله عقل جميعهم ولا يصح مازعمه موسى اذ سمع هفيفاً من الشجرة فقال كلمني الله وقال الله ومن ثم احترقت الشجرة فحاشا الباري تعالى من أن يتخذ لنفسه حجاباً ذاتياً كهذا ثم يحترق ويتلاشى فالاله قد ظهر لعباده في كل دور ودعاهم الي عبادته والاقرار بتوحيده ولم يعلموا من ظهوراته سوى عشر مرات يسمونها بالمقامات فكان أولها العلي ظهر في مدينة هجر بصورة مكاري على الف جمل (بمقتضى القاعدة التي وضعوها كان عقله في هذا الظهور مثل عقل الف جمل التي يحكم عليها) ثم ظهر في البار ولذلك الفرس يقولون بارخواي ثم المعل وعلي وأبو ذكريا والمنصور والمعز والقايم والعزيز وأخيراً ظهر في الحاكم بأمره وهو نهاية المقامات وحين القيامة يظهر الاله بجسد الحاكم بأمره دون غيره وهكذا الحدود النورانية والظلامية كانت تظهر معه في كل دور وسيظهرون يوم القيامة في اجسامهم التي كانوا بها في زمن الحاكم بأمره وينكرون كون آدم هو أبو البشر وانه مخلوق من التراب بل يقولون أن اسمه حارث واسم أبيه ترماح وهو من النطقاء أي ابليس وله أساس يسمونه الشيطان فيلقبون آدم بالعاصي (وعندهم أيضاً آدم الكلي أو الصفا وهو حمزة وآدم الجزئي وهو اسماعيل الملقب بالنفس) وكان أساسه شيت بعد مقتل هابيل وان حمزة في ذلك الزمن كان موجوداً واسمه شنطيل الحكيم واسم أبيه دانيل (ربما أخذوه من اسم سنطا نايل عند النصارى)

وان الله قد أمر آدم أن يسجد لسنطيل فلم يفعل فأخرجه من الجنة أي أبعده من علم توحيده لأنهم يعتقدون بأن الجنة هي ديانتهم التوحيدية وجهنم هي عبادة العدم التي يعبدها الخارجون عنهم لانهم يعبدون الهاً غير منظور وان الملائكة هم الدروز والخارجون عن معتقدهم شياطين وان الملائكة والجن المقول عنهم في كتب اليهود والنصارى والمسلمين لا وجود لهم اصلاً أما روح آدم التي هي ابليس وروح شيت التي هي الشيطان قد أنتقلتا الاولى منهما الى نوح والثانية الى سام ثم الى ابراهيم واسماعيل ثم الى موسى وهارون وبعد موت هارون انتقلت روحه الى يشوع بن نون ثم انتقلتا الى عيسى وبطرس ثم الى سعيد وقداح . أما روح حمزة انتقلت في زمن موسى الى يثرون كاهن مديان ويسمونه شعيب وفي زمن عيسى الى يَسّوع (بفتح الياء وتشديد السين) وانه غير يسوع عيسى وهو مسيح الحق وهو اليعاذر وأما أرواح الحرم الاربعة فكانت في الاربعة الانجيليين متى ومرقس ولوقا ويوحنا ثم يعتقدون ان يوحنا الانجيلي هو ذات يوحنا المعمدان كأن الاثنين هما واحد ويسمونه ايضاً فم الذهب هذا وأشياء اخرى مقورة في كتبهم تدل على جهلهم بالتاريخ ثم في زمن محمد بن عبد الله (صلعم) كانت روح حمزه في سليمان الفارسي وارواح الاربعة حدود في اربعة من الصحابة وهم المقداد وابو ذر الغفاري وعمار بن ياسر والنجاشي ثم في زمن الحاكم . والدروز يعتقدون نبوة كافة قدماء الفلاسفة اليونان وان ارواحهم الحدود الخمسة التوحيدية وان



الجنرال ميشو

اسكولابيوس الذي يسمونه اشقليبوش وفيثاغورس كانت فيهما روح حمزه واما التقميص عندهم يكون الانتقال من روح انسان الى الحيوان وبالعكس . هذا وان الله عندهم له اسم ومسمى ومعنى فان ذكر اسم الله فهو اسماعيل الملقب بالنفس وان ذكر المسمى فهو حمزه بن علي وان ذكر المعنى فهو الحاكم بأمره (كما هو موضح في رسالة البلاغ والنهاية في التوحيد من كتاب الدروز) ولذلك في مواضع كثيرة من كتبهم الستة يضعون اسم الله ويريدون به حمزة أو اسماعيل وحمزه المذكور لم يكن عندهم بمنزلة نبي مرسل فقط بل يعتقدون انه علة العلل وانه الخالق والمخلوق والرازق والمرزوق وبالجملة فهو متصرف بالكون كاله الا انه مخلوق وان الاله الكبير أي الحاكم بأمره هو فعل علة العلل وهو منزه عن كافة الاعمال وقد وضعها منذ الازل في يد حمزه وعلى يده يكون الحساب والثواب والعقاب وتقسيم الارزاق وتحديد الآجال الى غير ذلك مما هو متعلق بذات الباري تعالى وحده

ويعتقدون ان حروف بسم الله الرحمن الرحيم هي رجال حدود دعوة المختصين بحمزة وعددهم تسعة عشر رجلاً كعدد حروفها ولذلك في افتتاح كل رسالة من كتبهم يذكرونها هكذا حروف بسم الله الرحمن الرحيم حدود عبده الامام أو صفات عبده الامام فالقاعدة الكلية التي وضعها حمزه لاصول معتقداتهم هي ان يؤمنوا بما يكفر به سائر الامم حيث قال في رسالة الاعذار والانذار هكذا ان خير ما اقتنى للميعاد وادخر لخلاص النفوس من الذاد المبالغة في حسن الولاء

والاعتقاد والثبات على ما كفرت به جميع الطوائف من العباد فقد اوحى الي سبحانه انها البغية منكم والمراد لتقوم بذلك الحجة على اهل الفسوق والعناد وهذه العبارة تحتمل معنى ان يثبتوا على شريعة حمزة التي كفر فيها سائر الامم كما يحتمل ان يعتقدوا بكلما ينكره سواهم ومما شرعه لهم حمزه المذكور ان الشرائع الغريبة عنهم هي قسمان شرائع ظاهرة وشرائع باطنة واما شريعة حمزة فهي روحانية لا ظاهرة ولا باطنة وانهم في المحجة الوسطى وان افضل الاشياء اوسطها وسمي الشرائع الظاهرة والباطنة الغريبة عنهم بالغائط أو البول وان واضعيهما الناطق والاساس هما القبل والدبر وان الشريعة الظاهرة هي من وضع الناطق الذي هو ابليس والباطنة من وضع الاساس الذي هو الشيطان يريدون بذلك الخارجين عن مذهبهم ولذلك كانت العبادات التكليفية التي وضعها المذكوران مرفوعة عنهم واركانها سبعة وهي الصوم والصلاة والحج والزكاة والنحر والولاية وجناز الموتى وانهم لا يلتزمون بشيء منها وان حمزة قد عوضهم عنها بسبعة دعائم توحيدية وهي أولاً صدق اللسان ثانياً حفظ الاخوان ثالثاً ترك ما كانوا عليه ويعتقدونه من عبادة العدم والبهتان رابعاً البرأة من الابالسة والطغيان خامساً التوحيد لمولاهم الحاكم في كل عصر وزمان ودهر وأوان سادساً الرضى بفعله كيفما كان سابعاً التسليم لامره في السر والاعلان

الدرزية والتقمص

ويحرص الدروز (١) جداً على كتمان عقائدهم ولذلك يعبرون عن مرامهم في كتبهم ورسائلهم بطريق الرمز والكتابة ويذكرون مباحث من علم الكلام وبعض مقالات غلاة المتصوفة وتأويلات الرافضة والملاحدة وخصوصاً الاسماعيلية من غلاة الشيعة ثم انهم لاعتقادهم التناسخ وهو التقمص يزعمون انه اذا مات احد من كبار العقال الذين يعتقدون بولايتهم تذهب روحه الى جهة الصين وتحل في قالب ولهذا يزعمون ان لهم وراء جبل الصين كثيراً من الاولياء ويعتقدون انه كان قبل عالم الانس عالم الجن والحن والرم وعوالم آخر ويقولون انه كان قبل دور الحاكم سبعون دوراً وكل دور اربعة الآف الف سنة « اربعة ملايين » وتسع مئة الف سنة فيكون قد مضى من مبدإ الخليقة الى دور الحاكم ثلاث مئة الف الف سنة وثلاثة واربعون الف الف سنة « ثلاث مئة وثلاثة واربعون مليون سنة » وأول الادوار دور العلي وآخرها دور الحاكم وهو دور القيامة ويثبتون لكل دور من السبعين دوراً سبعة نطقاء وسبعة اوصياء وسبعة أئمة فيكون مجموع النطقاء لجميع الادوار اربعمائة وتسعين ناطقاً والاوصياء كذلك والائمة كذلك والناطق هو الرسول والوصي هو الاساس ويقولون ان اصحاب التكليف في كل عصر ستة كما كانوا في هذا العصر ومدة دعوة الناطق السابع مضمنة في مدة دعوة الناطق

(١) حل الرموز في عقائد الدروز

السادس واولو العزم خمسة في كل دور كما انهم خمسة في هذا الدور الأخير قالوا وانما كانوا خمسة لا غير لان النهاية في القوة عند الخامس من كل شيء ففي المقامات الربانية كانت عند الخامس وهو الحاكم وفي النطقاء انتهى العزم عند الخامس (يعنون به محمداً عليه الصلاة والسلام) وفي الاوصياء عند الخامس (يعنون به علياً كرم الله وجهه) وفي الائمة عند الخامس (يعنون به محمد بن عبد الله القداح) وينتظرون ظهور يأجوج ومأجوج من داخل الصين ويحترمونه ويقولون يأتي هؤلاء القوم الكرام بالفي الف وخمسمائة الف من العساكر الى مكة وفي صباح اليوم الثاني يتجلى لهم الحاكم بامره من ركن البيت اليماني ويهدد الناس بسيف مذهب في يده ثم يعطيه حمزه وهو ايضاً يقتل الكلاب والخنزير ثم يهدم الكعبة ويعطي الدروز حكومة الارض جميعها ويستخدم بقية الناس في حكم الرعية .

الدرزية وفروضها الدينية

وبعد فان لهم مواجب دينية وفرائض توحيدية اوجبوا على جميع اهل ملتهم حفظها ومعرفتها والعمل بها وسترها عن غير اهلها وهي اربع وخمسون فريضة . منها عشر مقامات ربانية وهي العلي والبار وابو زكريا وعلي والعل والقائم والمنصور والمعز والعزيز والحاكم وكلهم آله واحد . ومنها اربع تظاهر الباري بها وهي الهيئة والاسم والنطق والفعل فالهيئة هي الصورة التي ظهر بها والاسم هو اسم الحاكم الذي تسمى به والنطق هو المجالس والسجلات التي يتكلم



(الجنرال غاملان)

بها وتصدرعنه والفعل هو المعجزات التي كانت تصدر منه كقهر الملوك وقتل الجبابرة وظهوره بين الاعداء وحده وخروجه ايضاً وحده في أنصاف الليالي وظهوره في الحر الشديد وقت الهاجرة مع عدم تأثير الشمس في وجهه وعدم رؤية ظل له في ضوء الشمس والقمر وغير ذلك من الامور التي ذكروها معجزات له في كتبهم كالسيرة المستقيمة ومجرى الزمان وغيرها

ومنها عشر فرائض توحيدية الاولى معرفة الباري وتنزيهه عن جميع المخلوقات الثانية معرفة الامام قائم الزمان وتمييزه عن سائر الحدود الروحانيين الثالثة معرفة الحدود الروحانيين باسمائهم ومراتبهم والقابهم وان قائم الزمان أولهم وهو الذي نصبهم وهم مطيعون لامره ونهيه الرابع صون اللسان الخامسة حفظ الاخوان السادسة ترك عبادة العدم السابعة التبرؤ من الابالسة الثامنة التوحيد المولى في كل عصر وزمان التاسعة الرضي بفعله العاشرة التسليم لامره وهي مذكورة في رسالة ميثاق النساء ورسالة البلاغ والنهاية

ومنها عشرة مواجب دينية وهي كن لهم في انفاسهم واعراسهم وجنائزهم على السنة التي رسمت لهم فهذه ثلاثة والرابعة اجيبوا دعوتهم الخامسة اقضوا حاجاتهم السادسة اقبلوا معذرتهم السابعة عادوا من ضامهم الثامنة عودوا مرضاهم التاسعة بروا ضعفاءهم .العاشرة انصروهم ولا تخذلوهم وهي في رسالة التحذير والتنبيه

ومنها عشرون أمامية وهي أربعة أنواع النوع الاول اسامي

وهي خمسة الاول علة العلل الثاني السابق الحقيقي الثالث الأمر الرابع ذو معة الخامس الارادة. النوع الثاني طبائع جوهرية وهي خمس الاولى حرارة العقل الثانية قوة النور الثالثة سكون التواضع الرابعة برودة الحكم الخامسة ليونة الهيولي فهذه الخمسة هي العقل وطبائعه الاربعة وهي في رسالة كشف الحقائق .

النوع الثالث خصائص نورانية وهي خمس الاولى الحمد لمن ابدعني من نوره الثانية وايدني بروح قدسه الثالثة وخصني بعلمه الرابعة وفوض اليّ أمره الخامسة وأطلعني على مكنون سره فهذه من كلام حمزة وهي في أوائل رسالة التحذير والتنبيه

النوع الرابع منازل كلية وهي خمس الاولى حد الجسمانيين الثانية حد الجرمانيين الثالثة حد الروحانيين الرابعة حد النفسانيين الخامسة حد النورانيين فهذه المنازل الخمسة هي مجتمعة في الامام مذكورة في السيرة المستقيمة واما تلقي الديانة وأخذها فله عندهم كيفة مخصوصة وهي انه اذا أراد أحد من الجهال أن يأخذ الديانة ويدخل في سلك الموحدين ينبغي له ان يستجلب رضى الموحدين بتقديم الوسائل التعطفية مدة لا تقل عن سنتين يلتمس منهم قبوله وادخاله في جماعتهم واعطاءه الديانة فاذا قبلوه ادخلوه على الامام فيوصيه بحفظ السر وعدم اشهاره ويأمره بتحرير العهد الواجب تحريره اذ لا يكون موحداً خالصاً بدون تحرير العهد على نفسه فاذا حرره وسلمه الى الامام صار واحداً منهم والعهد الذي يجب تحريره هو المسطور تحت العنوان الآتي :

ميثاق ولي الزمان

ميثاق ولي الزمان

توكلت على مولانا الحاكم الاحد الفرد الصمد المنزه عن الازواج والعدد أقر فلان بن فلان اقراراً أوجبه على نفسه واشهد به على روحه في صحة من عقله وبدنه وجواز امره طائعاً غير مكره ولا مجبر انه قد تبرأ من جميع المذاهب والمقالات والاديان والاعتقادات كلها على اصناف اختلافاتها وانه لا يعرف شيئاً غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره والطاعة هي العبادة وانه لا يشرك في عبادته أحداً مضى أو حضر أو ينتظر وانه قد سلم روحه وجسمه وماله وولده وجميع ما يملكه لمولانا الحاكم جل ذكره ورضي بجميع أحكامه له وعليه غير معترض ولا منكر لشيء من افعاله ساءه ذلك أم سره ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم جل ذكره الذي كتبه على نفسه واشهد به على روحه أو اشار به على غيره أو خالف شيئاً من أوامره كان بريئاً من الباري المعبود وحرم الافادة من جميع الحدود واستحق العقوبة من الباري العلي جل ذكره ومن أقر ان ليس في السماء اله معبود ولا في الارض امام موجود الا مولانا الحاكم جل ذكره كان من الموحدين الفائزين وكتب في شهر كذا وكذا من سنة كذ وكذا من سني عبد مولانا جل ذكره ومملوكه حمزة بن علي بن احمد هادي المستجيبين المنتقم من المشركين والمرشدين بسيف مولانا جل ذكره وشدة سلطانه وحده — انتهى

الدروز والقرآن

ويقرأ الدروز القرآن الكريم ويؤولانه بتأويلات تناقض الشرع ويذهبون الى قدم العالم تبعا لبعض الفلاسفة ويقولون بالتناسخ معبرين عنه بالتقمص فالجسد يسمى قميصاً عندهم وأن الميت حين موته تنتقل روحه الى من يولد وقتئذ فالارواح الانسانية لا تنتقل عندهم الا على قوالب انسانية ويقولون أن الهوية الالهية تنتقل من قالب وتحل في قالب آخر في كل عصر فتتجلى كل زمن بصورة وتجلت أخيراً في الحاكم وان حمزة أيضاً ظهر في كل عصر بقالب ففي زمان كان فيثاغورس الحكيم وفي زمان كان شعيباً وفي زمان كان سليمان بن داود وفي زمان كان المسيح الحق فهو النبي الكريم عندهم . وحمزة العصر المحمدي هو سليمان الفارسي

لمن أوحي القرآن

ويزعمون أن القرآن أوحي حقيقة الى سليمان الفارسي وانه كلامه ومحمد (عليه الصلاة والسلام) أخذه وتلقاه عنه حتى زعموا بأن خطاب لقمان الذي خطب به ولده في معرض الوصية بقوله «يابني أقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر» هو خطاب سليمان لمحمد والتعبير بالنبوة انما هو من خطاب المعلم للمتعلم

اعتقاد الدروز في الحاكم بأمره

وقال الاستاذ هاني أبي مصلح : ويعتقد الدروز أن الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي وأباءه من قبله وكثيراً غيرهم من قبل كانوا مظاهر كاملة للجلال القدسي . وقد تضاربت أقوالهم في ذلك حتى يكاد المتتبع لها لا يحصل أخيراً على رأي . والاشكل

أنهم كانوا يعتقدون أن الله سبحانه كان يظهر في الناسوت كما تظهر الشمس في المرآة بدون أن تكون الشمس محصورة في المرآة وبدون أن يحدث لها بظهورها في المرآة نقص في جرمها أو اشراقها

الدروز وتأويل القرآن

ولا تنكر الدرزية نزول الوحي ولا تقول ان القرآن الكريم من كلام أحد من الناس ولكنها تعمد الى التأويل في الآيات . خذ مثالاً على ذلك آية « ويحمل عرش ربك يومئذ ثمانية » فعندهم ان المقصود بالعرش هو تعليم التوحيد والثمانية هم الملائكة المقربون الذين ظهروا في عصور مختلفة بصور ناسوتية لاجل تعليم الناس فكرة التوحيد

كذلك عندهم أن الصلاة هي الصلة بالمولى وأن الصيام هو الانقطاع عن كل ما يصرف الفكر الى غير الخالق جل ذكره لاسيما الانقطاع عن الخنا والمنكر . وهذا ليس شيئاً ابتدعوه هم فقد روي عن نبينا عليه السلام انه قال : « من لم ينقطع عن قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه »

وجاء في دائرة المعارف البستانية : ويؤمن الدروز بأن الدنيا حادثة وبوجود الله وان لا خالق سواه . وأنه قديم أزلي أبدي عادل لا غرض لفعله غني لا يحتاج وحاكم قادر لا يجب عليه شيء ان أثاب فبفضله وان عاقب فبعدله غير متبعض وليس له حد ولا نهاية ويعتقدون القرآن الشريف اعتقاد السنية الا أنهم يخالفونهم في تفسير بعض

آياته الكريمة . ويعتقدون أيضاً أقوال حمزه وتعاليمه ويسمونها كتب الحكمة وتتضمن علم التوحيد وكيفية خلق العالم وأسبابه وعلله وذكر الانبياء وأسمائهم وفضائلهم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يجب على الانسان وما لا يجب عليه واثبات المعاد والحساب والعقاب واعتقاد التناسخ وكون النفوس معدودة محدودة لا تزيد ولا تنقص باقية أزلية لا تفنى مستقرة في امكنتها غارقة في بحار عظمة اللاهوت تفنى الاجساد النائمة بها وتتلاشى وهي باقية الى الأبد لا تفنى ولا تتغير

الدروز والصوم

ومع اعتراف الدروز بفضيلة الصوم وانها تضعف شهوات الجسد الخبيثة فهم لا يجوزون صوم شهر رمضان لكونه من وضع الخارجين عن مذهبهم فيصومون في غير هذا الشهر ما يختارونه من الشهور والايام والعدد ويعتقدون ان الديانة زمن كشف ينبغي فيه اظهارها وزمن ستر ينبغي فيه اخفاؤها ففي زمن الحاكم بامره الذي هو زمن الكشف الاخير امتدت الدعوة لعبادته في جميع المسكونة فمن آمن كان من أهل الخير وكتب من الفائزين ومن لم يؤمن أو ارتد بعد الايمان كان من أهل الشر وكتب من الخاسرين وان بعد غيبة الحاكم بامره واحتجابه عن الناس (لانهم ينكرون موته قتيلاً) انتهى زمن الكشف وابتدأ زمن الستر وآمن من آمن وكفر من كفر وقفل الباب أي باب الايمان ولم يقبل الايمان من أحد فيما بعد فاذا مات أحد الفريقين فيولد ثانية في المذهب الذي مات عليه حتى

ولو اطلع الانسان على كتبهم وعرف ديانتهم واعتقد صحتها وسلك

هل يجوز لاجنبي ان يعتنق الدرزية

بموجبها فلا فائدة له من ذلك بل حين موته ترجع روحه الى مذهبه القديم وبناء على معتقدهم هذا لا يقبلون دخول احد في مذهبهم ولو ان شخصاً انتقل من مذهبهم الى غيره أو من غيره اليه وثبت في المذهب المنتقل اليه هو وأولاده فيحكمون عليه بانه أتى من زنا رجل في امه كان من أهل المذهب المنتقل اليه والدروز ينقسمون الى عاقل وجاهل فالعاقل هو العامل بموجب شريعتهم والجاهل هو المتمرد على الشريعة ويترجون رجوعه

رأي الدروز في العقال والجهال

بالتوبة مادام حياً واذا مات على حالة الجهل فيحكمون بتعسه ونحسه الى الابد حيث بعد ولادته ثانية لا تمكن توبته بل في كل دور يموت بحالة الجهل ولما يدخل الجاهل منهم في طريقة العقال يكتبون عليه صكاً يسمونه ميثاق ولي الزمان قد شرطه عليهم حمزة ويعتقدون ان المواثيق التي أخذها حمزة على المستجيبين منهم لدعوته جميعها محفوظة في اهرامات مصر لكي بعد رجوعه يطالبهم بمضمونها واما الذي يصير عاقلاً من جهالهم ولو قبل موته بيوم واحد فهذا يحكمون عليه بأنه كان من العقال في حياته السابقة وبسبب بعض هفوات صدرت منه قد سمحت ارادة حمزة ان يعيش مدة في حالة الجهل تأديباً له وكفارة عن سيئاته وهكذا يقولون عن ذوي العاهات والمصابين بأمور الدنيا كالأعمى والأعرج والفقير والجاهل وان مصابهم هو قصاص عن

ذنوبهم في مدة حياتهم السابقة ويحتجون بذلك على النصارى فيما ورد بالانجيل حينما سأل الرسل السيد المسيح عن ذلك الأعمى هل هو أخطأ أم أبواه حتى ولد أعمى ويقولون انه اذا كان قد أصيب بالعمى وقت ميلاده لخطيئة ظهرت منه فذلك يستلزم وجوده قبل ميلاده ويعتقدون أيضاً أن ايليا النبي هو يوحنا المعمدان وان المسيح أي حمزه أخبر عنه في انجيل متى ص ١١ بأن يوحنا هو ايليا ويجعلون هذا برهاناً على التقميص وهكذا يجعلون الغني والعالم والجاهل انما استحقوا ذلك مكافأة لهم لفضيلة سابقة ويعتقدون أن من رحمه العقال عند موته وشهدوا بفضله فاز بالنعيم والا فلا ولذلك بعد دفن الموتى عندهم يجتمع العقال بالقرب من الميت ويتذاكرون في أمره وهل أنه يستحق الرحمة فيرحمونه والا فلا وأنهم يصدقون من الانجيل والقرآن ما يوافقهم منهما زاعمين أن حمزه الذي كان مع عيسى تحت اسم يسوع ومع محمد (صلعم) تحت اسم سلمان الفارسي وقد كتبهما مع أصحابه الاربعة المار ذكرهم وما لم يوافقهم ينبذونه ظهرياً ويدعون أنه تزوير وبعض الآيات الممكن تأويلها يحرفونها الى المعاني الموافقة لاغراضهم

نقض المفتريات التي يفترى بها على الدروز

واما ما يتهمهم به الغير من عبادة العجل واباحة الزنا أو كون الواحد منهم يتزوج باخته أو بابنته فلا أصل له وهو افتراء وكذب فزيجتهم لا تكون بأقرب من الدرجة الرابعة أي بينت العم وبنت العمة وبنت الخال وبنت الخالة ولا أقرب من



نسيب بك البكري

ذلك وربما الحامل على هذه التهمة مايرى في بعض تعاليمهم من حقوق الزوجة على بعلها عند ما يقول انه تزوج المؤمن باخته المؤمنة الى أخره فمن المعلوم ان المراد بذلك ان المؤمنين أجمعهم اخوان مجازاً ويوجد مثل هذه الالفاظ عند النصارى والمسلمين يستعملونها مجازاً نظير استعمال

الزواج عند الدروز والطلاق

الدروز لها ويجب عند الدروز تساوي درجات الزوجين بالعلم والمقام فلا يجوز اقتران المرأة المتدينة بالرجل الجاهل الا اذا كان متديناً ولا يجوز عندهم ظهور النساء سافرات الوجوه امام الاجانب ولا تعدد الزوجات انما يصح عندهم الطلاق والمطلقة لا يجوز ارجاعها مطلقاً وعندهم التسمية بين الزوجين في كل شيء ولكل منهما الحق في الطلاق من الآخر بعد الفحص من جمعية شيوخهم فان كان الطلاق بدا من الرجل بوجه التعدي على زوجته فلها الحق ان تأخذ منه نصف ملكه وان كان سبباً منها فللزوج ان يأخذ منها نصف ماتملكه هي وشروط الزيجة عندهم ان الرجل ينصف زوجته من نفسه ومن ماله بان لا يبخل عليها بشيء حسب احتمال حاله وان لا يحملها من الاشغال ما لا طاقة لها عليه وان يترك لها وقتاً للراحة والتفرغ للعبادة وان لا يجامعها اكثر من مرة واحدة في الشهر عقيب طهرها من الحيض. واذا مضى الشهر ولم تطمث فلا يقترب منها خوفاً من ان تكون حاملاً فيجب تركها مدة الحمل ومدة الرضاعة سنتين وسنة أخرى بعد الفطام لراحتها اذ القصد من الزيجة عندهم ايلاد

البنين فقط لا لاقتضاء الشهوة ومتى صار للرجل من زوجته اربعة أولاد اذا كان غنياً أو اثنين اذا كان فقيراً حتى لا يكون ضيق عليه في تقديم لوازم المعيشة فيجب عليه حينئذ ان يبتعد عن زوجته بقية العمر لكي يتفرغا للعبادة فهذه الشروط هي ملخص ما ذكره الامير عبد الله التنوخي في شرحه على احدى رسائل حمزه المختصة في بجة الموحدين المسماة شروط الامام ومن ذلك يعلم ما عند هذه الطائفة من العفاف بوجه يفضلون فيه على سواهم واذا اعترض أحد بأن كثيراً منهم لا يقف عند هذه الحدود فالجواب ان ذلك لا يقدح في شريعتهم

الدروز والخمر

هذه اذ ما يفعله اولئك انما هو تعد عليها. وكانوا يستبيحون شرب الخمر لزمن الامير السيد عبد الله المقدم ذكره حتى ارسل ابن سباط لمصر وقرأ ما كان مكتوباً على جدران الحاكم بأمره وفحص عن اشياء كثيرة منها تحريم الخمر وان الحاكم المذكور قطع كروم مصر لكي لا يعصروا منها الخمر حينئذ نادى الامير السيد بتحريمه فامتثلوا امره وعلى الخصوص بسبب اعتقادهم بأنه متقمص فيه نصر بن فتوح احد دعاة الحاكم بأمره وهو الذي نقح شريعتهم وله فيها مؤلفات وشروحات كثيرة وقبره موجود في قرية عبيه في غربي لبنان. ومن المهم عندهم حفظ القناعة والاحتشام بمأكولاتهم ومشروباتهم وملابسهم فالعاقل منهم لا يشرب الدخان أو التنباك وهو يلبس عادة قميصاً من الكتان وسروالاً من الخام وفوقهما قفطان من قماش الخام ولونه اما أبيض نقي واما كحلي وفوقهما كامه مطبوقة



الأمير سليم الاطرش

ويشد وسطه بمنطقة من الخام الابيض وفوق ذلك عباءة من الصوف ضيقة وقصيرة الى تحت الركبتين وأكمامها لحد المرفقين مخططة باقلام أحدها أسود والآخر أبيض عرض كل منهما نحو قيراط واذا خرج للاجتماع أو لمقابلة ذوي المهابة فيلبس فوق الكسوة المذكورة عباءة سوداء تستره وينتعل في رجليه نعلين من السختيان الاحمر. والعقال المتورعون الذين يسمونهم غالباً أجاويد يعملون لهم مناسكاً يبنونها بعيداً عن البلدان التي هم بها بنحو مسافة نصف ساعة وغالباً يكون بناؤها على مرتفع ينفردون فيها أكثر الايام ليلاً ونهاراً ولا يدخلها النساء الا

الخلوات

نادراً بقصد الزيارة أو التبرك من ذاك المتوحد ويسمون هذه المناسك خلوات البياضة وهي على سطح جبل فوق قرية حاصبيا تزيد على ستين خلوة نهبتها العساكر المصرية في محاربة المغفور له ابراهيم باشا مع الدروز سنة ١٨٣٨ مسيحية وأخذ منها كتباً كثيرة بواسطتها امكنه الاكتشاف على جميع مكتوبات ديانتهم وتحقق ان لا صحة لما يتهمهم به الغير من القبائح المنسوبة اليهم وهذه الخلوات لعظم اعتبارها عندهم يأتي اليها ويقيم بها كثيرون من اجاويدهم من جهات مختلفة والمنشورات (جمع منشور) التي تصدر باوامر من جمعية سكان هذه الخلوات لاية جهة كانت من بلاد الدروز تقابل بالتكريم والامتثال

العقال ووسائل الانتقال

والاجاويد اذا سافروا من مكان الى آخر فغالباً

يمشون على ارجلهم وبيدهم عصاة يتوكأون عليها بقصد التقشف إلا اذا كان المحل الذي يتوجهون اليه بعيداً جداً أو اذا كان ذلك الجويد عاجزاً فيركب غالباً على اتان لا حمار والغالب يعتمدون اللون الابيض لأن الحاكم بامره كان حماره الذي يركب عليه ابيض ويسميه القمر واما رغبتهم في ركوب الانثى دون الذكر هو لاظهار المسكنة والتواضع وهم لا يأكلون في بيوت الحكام ولا في بيوت اتباعهم ولا عند المرابي ولا المكاس لكونهم يأخذون مال الموتى بالغصب ولا يطعمون دوابهم من عند المذكورين فيحرم استعمالها حتى تأكل مالا حلالا

الدروز والمال

ولا يجوز أن يشتروا طعاماً أو كسوة بمال مأخوذ من هؤلاء الاشخاص ولو كان أجرة اتعابهم أو ثمن مبيعاتهم واذا وصل اليهم مال من أشخاص هكذا فينفقونه في ثمن صابون أو صباغة ثياب كأنه في أشياء غير ضرورية للمعاش أو يدفعونه الى الحكام فيما يطلب منهم من الاموال الاميرية أو مال المكس أو الجريمة وأكثرهم من يحلل البدل كما لو باع شيئاً لشخص ماله حرام فيقبض الثمن ويبدله من تاجر أو فلاح بمثله من المال الحلال وحينئذ يشتري لوازم فيما أخذه فيكون حلالاً وهذا العمل من خرافتهم واذا رجل ارتكب جريمة فاعظم قصاص يحكمون به عليه تحريمهم أرزاقه وحينئذ يمتنع جميع العقال من الدروز عن مواكلته وهذا يقرب من الحرم عند النصارى واليهود.

اداب الحديث عند الدروز

اما كلامهم ومخاطباتهم مع الجميع فهي بكل رزانة وتأدب ولا يخرج من أفواههم كلمه سفيهة أو خشنة لا شتيمة ولا لعنة ولا مسبة ولا حلف ولا يذكرون بافواههم لا اسماً ولا فعلاً قبيحاً واذا اضطروا للتعبير عن شيء قبيح فيجتهدون بان يوردوه بالكناية بالفاظ أخرى محتشمة تفهم بالمقصود. ودائماً يقدمون التكريم لكل من يتحدثون معه ولو من أعدائهم ولا يسمع منهم كلمة مهينة بحقه وهم مأمورون من أصل الشريعة أن يبالغوا في كتمان دينهم بدعوى أن الجوهرة الثمينة يجب اخفاؤها عن أعين من يجهل قيمتها . ولا يليق عندهم ذكر النساء في مجالس الرجال ومع زيادة تأدبهم مع نسائهم والتلطف بهن فيما بينهم فانه اذا اضطر أحدهم الى ذكر احدى النساء في محادثته فلا بد أن يقدم على ذكرها الكلمات التي جرت العادة بها عند العرب بتقديمها على ذكر الاشياء الحقيرة أو النجسة التي لا يليق ذكرها أمام السامع كما لو

ذكر المرأة في المجتمعات

اضطر ابن العرب لذكر كنيف أو جيفة فلا بد ان يقدم على ذكرها هذه العبارة اجلكم الله فهكذا اذا أراد الدرزي ان يذكر امرأة امام رجل آخر ولو كانت اخته أو ابنته أو زوجته فيقول اجلكم الله فلانة كذا ويستثنى من النساء الام والجدة والعمة والخالة فيقول عنهن امام من يساوي المتكلم بالكلام داعيتك والدتي أو جدتي الى آخره واما من كان اعلى مقاماً من المتكلم يقال جاريتك أو عبدتك والدتي أو جدتي الى آخره والنصارى القاطنون بينهم أو

بالقرب منهم يسلكون نظيرهم بهذه الالفاظ واما نساء الدروز فغالباً هن من العاقلات وقلما يكون منهن جاهلات وملابسهن القميص

لباس المرأة العاقلة

والسروال والقفطان فوقهما ذو لون واحد كل قطعة منها لا جميعها فأما ابيض او كحلي أو ازرق أو بنفسجي لا احمر ولا اصفر ويلبسن على رؤوسهن طرطوراً يسمونه امامة من صفيح الحديد لا من الفضة ولا من الذهب اما من ورق الكرتون ملصوق على ظاهره قماش مشغول بقليل من القصب النحاسي او الفضي ويسمونه [illegible]ربة وطول هذا الطرطور نحو ٢٥ سنتيمتراً ويسترونه مع رؤوسهن بمنديل من قماش القطن الابيض واذا خرجن الى الجامع فيأتزرن بمآزر على وسطهن يستر نصفهن الاسفل يتخذنه من قماش القطن بلون كحلي مص[illegible]ول ولا يلبسن شيئاً من الحلي سوى الاساور الخشنة في ايديهن من [illegible]ضة او النحاس الاصفر مع العاقوص الذي هو ثلاثة حبال رفيعة مص[illegible]عة من الحرير ذات لون بنفسجي يجدلان فيها شعورهن وفي طرف كل حبل منها طرة من فتلات الحرير الرفيع مجموعة في زر من الفضة واذا ظهرت النساء لمواجهة رجل اجنبي فيسترن وجوههن بطرف المنديل الذي على رؤوسهن ويظهرن العين الواحدة مع قمة الخد التي تحتها وكلا منهن هو بغاية اللطف والاحتشام وغالباً هن ذوات عفاف اكثر مما ع[illegible] من والجاهل عند الدروز يحسبونه اشر من الكافر الاجنبي فلا يجوز الترحم عليه بعد موته ويدعونه مرتداً ولا يطلعونه على كتبهم ولا يحضر ابداً



عبد الغفار باشا الاطرش

موقف المرأة الدرزية العاقلة تجاه زوجها الجاهل

في جمعياتهم الدينية واذا كانت زوجته من العاقلات فلا تخاطبه بشيء من امور الديانة ولا تطلعه على شيء منها وتخفي كتبها عنه ضمن صندوق مقفول ولمعرفته ان اطلاعه عليها حرام فلا يعارضها بذلك غير ان الجهال منهم يفقهون أطراف شريعتهم كالاعتقاد بوصية الحاكم بأمره وامامه حمزه والاربعة حدود والتقميص والعلامة السرية التي يجعلونها بينهم لمعرفة بعضهم البعض وقبل افتضاح كتبهم في حروب المصريين كانوا اذا اشتبهوا في رجل وأرادوا ان يعرفوا هل هو منهم أولا يسألونه هل الفلاحين فى بلادكم يزرعون حب الاهليلج فان أجاب نعم هو منزرع في قلوب المؤمنين يتضح له انه منهم وربما كان من الجهال وحينئذ يسألونه عن الحدود ومراتبهم حتى يتحقق لهم حاله وان اجاب بغير ذلك علموا انه اجنبي وربما غيروا هذه العلامة بعد اكتشافها واما سياستهم فلهم في كل بلدة مكان للاجتماع يسمونه مجلساً أو خلوة يجتمع اليه العقال من الرجال والنساء دون الجهال في كل ليلة جمعة نحو الساعة اثنين بعد الغروب وتكون مدة اجتماعهم ساعتين أو ثلاث ساعات

الفصل الثالث

سلطان باشا الاطرش (١)

اسرة آل الاطرش — لماذا عرفوا بآل الاطرش — والد سلطان الاطرش — سبب نقمة سلطان على الترك — أوصاف سلطان وصفاته — سلطان والثورة العربية — بين سلطان باشا وابن عمه الامير سليم الاطرش — مصير سلطان بعد سقوط دمشق وتأليف الحكومة العربية الفيصلية — الدروز بعد قلب الحكومة العربية وابدالها بالسلطة الفرنسوية مؤتمر الدروز ومطالبه — المعاهدة الدرزية الفرنسوية — المعاهدة الاصلية ، المعاهدة الجديدة

---

(١) استند المؤلف في جانب من المعلومات التي وردت في هذا الفصل الى الكتب التالية وهي كتاب « خطط الشام » للعالم المحقق الاستاذ محمد كرد علي وكتاب « ثورة العرب » للكاتب السياسي المجيد السيد اسعد خليل داغر وكتاب « القول الحق في تاريخ سورية وفلسطين والعراق » لمؤلفه ج . دي ف . لودر ومعربه السيد نزيه المؤيد العظم ب . ع . وكتاب « ما رأيت وما سمعت » لشاعر الشام السيد خير الدين الزركلي والى المقالات التي نشرها « الرحالة » (السيد حنا ابي راشد) على صفحات الجرائد العربية والى الاحاديث التي دارت للمؤلف مع اسعد بك البكري نجل فوزي بك البكري والدكتور ولفجونج وايزل المندوب الخاص في الشرق الادنى لجريدة « الفوسيشي زيتنغ » وشركة « الشتاين » الاخبارية النمسوية وغيرهما من رجال السياسة والصحافة



اما الواقفون فهم — من اليمين الى اليسار — أسعد بك البكري ومختار بك الجزائرلي وبشير بك الجزائرلي ومظهر بك البكري

آل الاطرش يؤخذ من تواريخ آل الاطرش ان جدهم الأول هو علي بك العكس . وكان مقامه في قرية « تلبيثة » غربي مدينة حلب ولما شب عبد الغفار بك وهو من سلالة علي بك المذكور نزح مع عائلته الى قرية « برمانا » من اعمال جبل لبنان ومعه قريبه عبد الباقي بك . وفي عهد الامير بشير المالطي انتقلت عائلة عبد الغفار بك الى « ابل السقي » بجوار حاصبيا وذهب زعماؤها الى « بقعصم » من اعمال اقليم « البلان » والقوا عصاهم فيها الى ان استولى الامير بشير على ذلك الاقليم فرحلوا الى « مرجانا » شرقي دير علي (غوطة الشام) وظلوا يقيمون فيها حتى عيل صبرهم من اضطهاد عرب عنزه لهم فقصدوا « عاهرة » بزعامة الشيخ اسماعيل وكان يعرف مع ذويه بآل عبد الغفار وبعد ما اقاموا في تلك البلدة ردحاً من الزمان هبطوا « السويداء » وطلب الشيخ اسماعيل من حاكم الجبل ، وكان يومئذ مزيد الحمدان ، ان يمنحه قرية ينزلها وعائلته مع اعترافه بسيادته وخضوعه لسلطته فاعطاه مزيد الحمدان قرية « الرحا » والظاهر انها لم ترق للشيخ اسماعيل فما لبث ان طلب من المزيد ان يقطعه قرية اخرى تلائمه اكثر من الاولى فاجابه الى طلبه ووهبه قرية « القرية » (مقام سلطان باشا الاطرش اليوم) في مقابل مئة رأس من المعز دفعها له الشيخ وكان يتقاضى من اهل القرية جميع محصولاتها حتى الدجاج والبيض وعلى مر الايام رجا الاهلون من المزيد ان يقيم الشيخ محمد بن الشيخ اسماعيل شيخاً على قريتهم فحقق رجاءهم ومن تلك الساعة رفعت الاعشار

عن «القرية» ولما كان الشيخ محمد المشار اليه اصم عرف نسله ببني الاطرش وكان لمحمد هذا اربعة اولاد اسم اكبرهم اسماعيل وهو اول من أسس زعامة الطرشان في جبل الدروز فحكم من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٦٩ وعقبه ابراهيم باشا الاطرش من سنة ١٨٦٩ الى سنة ١٨٩٢ فشبلي بك الاطرش من سنة ١٨٩٢ الى سنة ١٩٠٤ فيحيي بك الاطرش من سنة ١٩٠٤ الى سنة ١٩١٤ فسليم بك الاطرش من سنة ١٩١٤ الى سنة ١٩٢٣

والد سلطان باشا الاطرش وسبب نقمة سلطان على الترك

في سنة ١٣٢٤ هجرية اعتدى دروز حوران على عرب المعجل وهاجموهم في «النقرة» من حوران فقتل المعجل منهم نحو سبعين رجلا ثم اعتدى المعجل على قافلة درزية وفتكوا برجل من أكابر بيوتهم بالقرب من «براق» فهاجمهم الدروز بالقرب من مرج الغوطة وقتلوا نحو أربع مئة من العرب وابقوا على النساء . وفي سنة ١٣٢٨ هـ غزا دروز حوران جيرانهم أهل قريتي معربة وغصم وسكانهما مسلمون ومسيحيون على أثر شجار وقع بين نواطير القرية (النواطير هم الخفراء الذين يتولون حراسة كروم العنب في سورية) ونواطير بصرى بشأن كرم عنب فقتلوا منهم ٥٩ شخصاً علاوة على الجرحى ونهبوا القسم الاكبر من قرى السهوه وجيزه وسماقية وطيسه من بلاد السهل فجردت عليهم الدولة حملة عسكرية مؤلفة من ثلاثين الف جندي بقيادة سامي باشا الفاروقي ففاز عليهم في معركة قتل فيها الف رجل من رجالهم وخسر الجنود مئة وخمسين مقاتلا واحرقت

بعض القرى وفي مقدمتها الكفر وهي أهم موقع حربي في الجبل وكان معظم القتال قد دار حولها وفي جوارها واستولى الجند والضباط على ما لقوه فيها من المتاع والحلي والنقود مما كان الدروز قد جلبوه اليها معهم عند رحيلهم عن سائر انحاء الجبل وانتهى القتال يومئذ باخضاع الدروز لحكم الترك على فريق من زعمائهم وأشقيائهم بالشنق فشنقوا في دمشق وعفي عن بعض المجرمين وعوقب بعض الابرياء وكان بين هؤلاء ذوقان باشا الاطرش والد سلطان باشا الزعيم الحالي فاعدمهم الترك ظلماً وعدواناً ارواء لغليلهم وانتقاماً . وقد سمعت كثيرين من العارفين يقولون ان الحادث المتقدم ترك أثراً عميقاً في نفس سلطان وأنه هو الباعث له على كره الترك ذلك الكره الذي تجلى في كل دور من أدوار حياته وهذا أمر غير مستبعد

وصف سلطان وصفاته

واخبرني الذين رأوا سلطان باشا الاطرش وعرفوه انه في نحو الخمسين من عمره وانه على جانب عظيم من الذكاء وتوقد الذهن وسرعة الخاطر

وهو مهيب الطلعة ، ربع القامة (وبعضهم يقول انه يميل قليلاً الى الطول) ممتلىء الجسم ، عريض الكتفين ، لوحت الشمس وجهه فزادته هيبة ووقاراً ، حليق الذقن ، غزير الشاربين ، أزرق العينين ، حاد النظر ، لون شعره كستنائي ، ويرتدي العباءة كسائر مواطنيه ويعتمر بالكوفية وفوقها العقال

وهو فارس ماهر يجيد الرماية بالبندقية والمسدس معاً واستعماله

كالسيف يضرب به المثل بين قومه ، ومما قصه علي احد العارفين في هذا الصدد انه بينما كان سلطان يشرف على سير القتال في معركة المزرعة هاجمه فرنسوي يريد القضاء عليه فضربه الزعيم الدرزي بسيفه ضربة شطرته شطرين من كتفه الايمن الى الجهة اليسرى من وسطه . ويقال ان الفرنسويين نقلوا جثة ذلك الجندي الى دمشق وعرضوها هناك على رؤسائهم « الذين كان لاحديث لهم سوى شجاعة سلطان وبسالته » كما قال مكاتب « النيويورك اميركان » في سورية في رسالة بعث بها الى جريدته

والمشهور عن سلطان انه قليل الكلام على غير عادة مواطنيه وهو يميل الى استماع مشورة صحبه وانصاره ولو كان الماثل امامه فتى يافعاً . وقد سئل مرة عن رأيه في انظمة الحكم وايهما يؤثر على الآخر الحكم الجمهوري أم الحكم الملكي فاجاب انه من انصار الاول

واعظم برهان على شجاعة سلطان واستماتته في ساحة النزال ان اعوانه ومريديه ينهونه عن خوض غمار القتال ليقينهم — كما حدثني عنه احدهم — انه لا يخرج من المعمعة الا قاتلا او مقتولا

وقد قال عنه مكاتب النيويورك اميركان في سورية : « ومع ان سلطاناً غني جداً فانه يقضي ايامه في العبادة واعانة الفقراء وكثيراً ما تعرضت اسرته لكرمه لئلا يجود بكل ما يملك وهو رقيق جداً ويصلي قبل ذهابه الى القتال ثم ينشد ثم يبكي وقد اخبرت ان ذلك شأنه على الدوام »

سلطان باشا
والثورة العربية

لما نشبت الحرب العظمى كان الامير فيصل في مكة فمكث فيها حتى سنة ١٩١٦ وفي مستهل تلك السنة رحل منها الى دمشق فبلغها مع خمسين من مواطنيه وجميعهم من زعماء القبائل العربية الاشداء فنزلوا في قرية « القابون » وهي على مقربة من دمشق وتخص آل البكري من اشراف الشام وأعيانها ومالبث نخبة من رجال العرب أن قابلوه وخلوا به فعكفوا جميعهم على رسم الخطط التي يجدر اتباعها وانتهاجها لفك قيود العرب و كان جمال باشا منذ وصوله الى سورية بعد اعلان الحرب الاوربيـة بنحو سبعة اشهر يتظاهر بكره الاتحاديين والميل الى العرب فاخذ يقرب اليه أحرار السوريين والعراقيين ويستشيرهم وينفذ رغائبهم الى ان أمنوا جانبه واخلصوا له فتفاهم مع بعض الذين كانوا صلة الاتصال بين الترك والعرب كالمرحوم عبد الـكريم قاسم الخليل وغيره على تنفيذ خطته المنطوية على انشاء امارة تركية مستقلة في بلاد العرب كالخديوية في مصر غير ان ذلك لم يكن في الحقيقة سوى خدعة منه فانه ما كاد يبعد الضباط والجنود العرب عن سورية والعراق ويقنع فريقاً من رجال احرار العرب وزعمائهم بقبول المناصب العسكرية في خارج البلاد العربية حتى اماط اللثام عن حقيقة حاله وقلب للعرب ظهر المجن فنصب المشانق وفتح ابواب السجون ومواضع النفي وكان اول من شنق صديقه المرحوم عبد الـكريم قاسم الخليـل الذي سعى الى حتفه بظلفه وساعد جمالا باخلاصه وحسن نيته

فايقن العرب عندئذ ان وجود الجيوش التركية في سورية والعراق وابعاد الجيوش العربية عنهما يحولان دون القيام بعمل ذي شأن فيهما فقرروا ان يلتفوا كلهم جمعياتهم واحزابهم وكل من نجا منهم من مذابح الاتحاديين حول زعيم كبير من زعمائهم البعيدين عن سيطرة الترك والاجانب وان ينظموا تحت امرته قوة عربية كافية للوقوف في وجه الاتحاديين وانقاذ الامة العربية من مخالبهم فلم يروا يومئذ بين امراء العرب غير شريف مكة الحسين بن علي

ويقول اصحاب الرأي المتقدم انه لما شعر الامير فيصل بان ساعة العمل قد ازفت ولم يعلم كيف يغادر دمشق زار جمال باشا وأخبره انه ينوي تأليف حملة من متطوعي الحجاز ليشدوا ازر الترك في الهجوم على قناة السويس فصدق جمال باشا دعواه واعطاه اسلحة وغادر فيصل دمشق الشام الى المدينة المنورة

وفي شهر يوليو سنة ١٩١٦ بعث الامير فيصل ببرقية مقتضبة الى نسيب بك البكري في دمشق يقول له فيها «ارسل الحصان الاشقر» وهي عبارة سرية كان الامير قد اتفق عليها قبل سفره مع نسيب بك ومعناها « نحن على وشك ان نعلن الثورة فاشخص الينا مع اسرتك ومن يلوذ بحزبنا » وفعلاً غادر نسيب بك دمشق ومعه شقيقاه فوزي بك وسامي بك

وفي دسمبر سنة ١٩١٧ ارسل نسيب بك البكري مع رسول كتاباً الى سلطان يقول له فيه ان الجيش الحجازي اجلى الترك عن مكة

وان جيش الحلفاء استولى على بئر السبع بطريق غزة في ٣١ اكتوبر سنة ١٩١٧ وعلى يافا في ١٦ نوفمبر وعلى القدس في ٩ دسمبر وطلب اليه ان يكون على استعداد مع رجاله وابلغه انه « قريباً سندخل جبلكم المنيع » وختم نسيب بك رسالته اليه بالعبارة التالية « الله ينصر العرب »

فأخذ سلطان باشا يعد معدات الثورة في جبل الدروز حتى كان منتصف سنة ١٩١٨ فوفد اليه نسيب بك البكري ومعه منشور من الامير فيصل الى سكان جبل الدروز وهذا نصه :

الى عموم اهل جبل الدروز وحوران المحترمين

بما اننا قد انتدبنا السيد نسيب بك البكري الى جهاتكم بالوكالة عنا بينما نحضر بذاتنا أو يحضر اخونا الامير زيد لجهتكم فيجب والحالة هذه اجراء جميع التسهيلات المقتضية التي اعتدنا ان نراها من امثالكم الموصوفين بالغيرة العربية والحمية والشهامة العدنانية بطرد اعدائنا وأعداء وطننا أولاد جنكيز الذين اذا لم نتحد على طردهم من ديارنا ونخلص البقية الباقية من ابناء قومنا من ايديهم فانهم لا يبقون منهم فرداً . واننا بعونه جل جلاله سنأتيكم قريباً بجيوشنا ومعداتنا هدانا الله وايا كم سواء السبيل ووفقنا للتغلب على الاعداء واراحة العباد وتخليص البلاد

تحريراً في ١٨ جمادي الثاني سنة ١٣٣٦ الموافق ٢٧ اذار سنة ١٩١٨

قائد الجيوش الشمالية

ابن ملك العرب (الختم) فيصل ابن الحسين

فأنف سلطان باشا قوة من الدروز (٣٠٠ فارس) وأرسلها بقيادة نسيب بك البكري لقتال الترك على طريق الحجاز ومن تلك الساعة نادى سلطان بالثورة ورفع العلم العربي على داره في السويداء فلما اتصل الخبر بابن عمه الامير سليم الاطرش وكان حاكم الجبل يومئذ كتب اليه الكتاب التالي :

لجانب معالي قائد الجيش الدرزي دولتلو سلطان باشا المعظم

« بعد السلام عليكم اطلعنا على تحريركم المرسل منكم الى اهل القرى « ام الرمان » و « الغارية » و « حوط » و « عنز » و « المغير » و « بكه » تطلبون منهم ان يوافوكم الى « بصرى اسكي شام » لأجل ان تتوجهوا الى عند الشريف (يعني الحسين بن علي) لاجل انتقامكم من الدولة العلية العثمانية الابدية القرار ان شاء الله يا أيها القائد المعظم . اسلافنا عند اختلاف الدولة واهل الشمال (عرب البادية الضاربين بين جبل الدروز وعمان عاصمة شرقي الاردن) انقسمت الدروز قسمين قسم مع الدولة وقسم مع أهل الشمال والآن لا تحوجونا نقسم الدروز قسمين بل اهجعوا وارجعوا عن طغيكم وبغيكم للناس

ثانياً — نستغني عنكم ونحسب ان سلطان ما كان

ثالثاً — لا تسبحوا على شبر من الماء

رابعاً — تخبروا الناس وتغشوهم ان نابلس لحد الناصرة سقطت مع ثلاثين ألف عسكري . لا نعلم عندكم تلفون بلا سلك لحتى فهمتوا



الدكتور عبد الرحمن شهبندر



الحقيقة وعمال تطغوا وتغروا جهلاء الدروز للاشتراك مع جيش علبة العطارة جيش الشريف

« اعلموا اذا بقيتم معولين على فكركم يوجد ثلثين الجبل عثمانيين أظن يوقفوا أمام قراياكم وجيشكم الجرار ونحن ليس غشاشين ولاهو كار اسلافنا الغش للطائفة . اذا كان تعنوا عن اسلافنا هم الذين ثبتوا عرش الدولة العثمانيـة في وقت حرب السلطان سليم وملك الغوري وأيضاً ابراهيم باشا المصري ثبتوا عرش الدولة . هكذا كان منهج أسلافنا ليس مثل منهجـكم ينغشوا في المال ويضيـعوا احساساتهم واحساسات الطائفة عساكم خلف لا عن سلف هذا ولا خلافه ودمتم

في ١٧ ذي الحجة سنة ١٣٣٦ كاتبه

سليم الاطرش

فرد عليه سلطان بالكتاب التالي :

« لجناب معالي قائد الجيش التركي سليم باشا الاطرش الافخم

« بعد السلام عليكم ابدي أنه اطلعت اليوم على رسالتكم الوهمية التي لقنت عليكم من صناع الترك وكنت أريد أن أجيبكم على كل حرف منها غير أن وقتنا الثمين لا يسمح لنا وخاصة على ذكركم الدولة التركية البائدة ووصفكم اياها باسماء وصفات هي لا تقبلها على نفسها لأنها تقر بقصر باعها وعجزها وكناها ذلك باستنادها عليكم فياحضرة ابن العم المحترم لسنا نحن المغشوشين لاننا لم نطعم من ماكل « دامسكـوس بلاس (اسم فندق في دمشـق) ولا دخلنا جنينة البلدية بالشام ولا

قابلنا تركياً قاتل آبائنا وهاتك عرض بلادنا ، اقرأ اشعار جدك شبلي رجل الدروز الذي هو اليوم يناديك من اعماق قبره وينهيك لعدم اطاعتك تعليماته التي يتسلح بها العدو قبل الصديق ليأخذ احتياطه من خيانة الترك الظالمين

« نحن أعلنا الحرب المقدسة على بواقي جيوش الترك الجائعة وننصحك بأن تعود الى جادة الصواب لئلا بعد قليل تندم حيث لا ينفع الندم

ان الاخبار التي سمعناها عن سقوط بلاد نابلس والناصرة وطبريا بيد دولة العالم وسيدة البحار بريطانيا العظمى صديقتنا القديمة وحامية ذمار طائفة الدروز هي حقيقية وليست اخباراً مصنوعة في المانيا أو آتية بطريق الاجانس العثماني . هي اخبار حقيقية واذا كنت كنت تريد غداً نأمر اكبر طيارة في العالم لنأتيك بها بطريق الجو . اما التلغراف اللاسلكي والتليفون وكل وسائط المخابرات الراقية تحت امورنا وتصرفنا في كل دقيقة فان حز بنا حزب الله والله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء أما (اتراكك) اللئام فهم قوم (جالطة يوك) اعني عن كل شيء عندهم مفقود حتى الخبز . وعليه باسم عائلتنا الكريمة التي لا اريد ان اخرج من صف رجالها كما تريد انت انصحك ان ترعوي وتعود الى صوابك لئلا تصبح محروماً من ان تكون طرشانياً بطبيعة الحال . اما جيش علبة العطارة فهو جيشك الفار . . . انظر القوة التركية المستندة على خيال الريح ونحن ان شاء الله سنكون خير خلف لخير سلف



الجنرال ديبور

وسنحافظ على شرف الدروز ومستقبلهم ولا نجعلهم ان يداسوا كما تريد ان تضعهم انت تحت اقدام اسقط واوحش دويلة في العالم ودمتم

في ١٩ ذي الحجة سنة ١٣٣٦

ابن عمكم

سلطان الاطرش

وعلى اثر سقوط معان بيد الحلفاء (اوائل سنة ١٩١٨) رأى الامير فيصل ان ينقل مقامه الى بصرى عاصمة حوران لئلا يلم الترك شعثهم في درعا دفاعاً عن دمشق ولم يكد يستقر بها حتى بلغه خبر سقوط درعا بيد الجيش العربي والانكليزي ومتطوعة الحورانيين فسار اليها ونظم حكومتها والقلق آخذ منه مأخذه لان الاتفاق كان قد تم بينه وبين الحلفاء اي بينه وبين البريطانيين على ان كل فريق من العرب او البريطانيين يسبق الى فتح مقاطعة او بلد يكون حق احتلالها وادارة شؤونها لذلك الفريق الى ان يبت في مصيرها وحافظ الجيش البريطاني على هذا الاتفاق بدقة وعناية فكان اذا سبق وفتح بلداً أو أسقط حصناً في البلاد التي يريد اعطاءها للعرب يتوقف ريثما يدخل العرب فينسب الفتح اليهم وخصوصاً في بلاد الشام الداخلية ولذلك خف السيد نسيب البكري من الازرق بامر الامير فيصل الى جبل الدروز والتقى صديقه سلطان باشا الاطرش فجيش هذا نحو ثلاث مئة فارس من الجبل كما تقدم وذهبوا الى بصرى وهناك انضم اليهم فريق من الحورانيين ولا سيما آل مقداد وساروا الى دمشق على طريق الكسوة فناوشهم جيش الترك قليلاً في حصون جبل المانع ريثما

يتمكن من التقهقر بانتظام ودخلت هذه الحملة التي كانت مؤلفة من نحو خمس مئة فارس — ما عدا المشاة من اهل البلاد — الى دمشق واتفق دخولها مع أوائل الحملة البريطانية الزاحفة على الفيحاء بطريق جسر بنات يعقوب — القنيطرة

وفي ١٠ اكتوبر سنة ١٩١٨ قدم الامير فيصل دمشق وكان مرابطاً في الجيدور ونزل في دار آل البارودي في القنوات وهناك شرع في تأسيس الحكومة العربية

وكان حزب الامير سليم الاطرش وحزب سلطان باشا الاطرش قد اجتمعا قبيل وصول فيصل الى دمشق وتناسيا ما كان بينهما من الأحقاد فعين الامير فيصل الامير سليماً حاكماً على جبل الدروز لان تقاليد الجبل تقضي بأن يكون حاكمه من بيت عربي وكافأ سلطان باشا بأن أنعم عليه برتبة الجنرالية وعين له مخصصات مالية وكان يكرم وفادته كلما زاره وينوه بصداقته وخدماته

وفي ٨ نوفمبر سنة ١٩١٨ اذاع ممثلا فرنسا وانكلترا في الديار الشامية البلاغ التالي بالنيابة عن حكومتيهما وهو:

« ان المقصد السامي الذي دعا فرنسا وبريطانيا العظمى ان تمتشقا الحسام وتثيرا حرباً عواناً في الشرق هو رغبتهما في تحرير شعوبه من ظلم الترك واستعبادهم وخلاصهم من عسف الالمان ومطامعهم وميلهما الى تأليف حكومات وادارات وطنية حرة تنتخب حسب رغائب الامة وتستمد سلطتها منها ولتأييد هذه المقاصد

وابرازها الى عالم الوجود اتفقت فرنسا وبريطانيا العظمى على ان تساعدا الاهلين على تأليف هذه الحكومات في الشام والعراق وفي جميع البلاد التي حررها الحلفاء وان تعترفا بها حين تأليفها ولا تتدخلا في شؤونها ولا تسنا لها الانظمة ولا القوانين ولا غاية لهما سوى مساعدتها والمحافظة عليها لتتأكدا انها تسلك باعمالها مسلكاً حسناً لتضمن العدالة والمساواة بين جميع السكان من دون نظر الى جنسياتهم ونحلهم وعند الحاجة تساعدانها بالمشاريع الاقتصادية والعمرانية التي من شأنها ترقية البلاد والسير بها الى مستوى الامم الراقية ولا تسهوا عن نشر لواء العلم وترقية التربية ترقية واسعة »

ثم تمت تجزئة البلاد بين فرنسا وبريطانيا العظمى — طبقاً لاتفاقية سايكس — بيكو . فأخذت هذه فلسطين ومايجاورها واستأثرت فرنسا بالساحل من صور الى ما وراء الاسكندرونة وبقيت الداخلية أي الكرك والسلط ومعان وعمان وحوران ودمشق وبعلبك وحمص وحماة وحلب مستقلة بادارة الأمير فيصل

وفي ١٥ سبتمبر سنة ١٩١٩ اتفقت الحكومتان الفرنسوية والانكليزية على أن تخرج بريطانيا العظمى جنودها من ديار الشام على أن لاتدخل الجنود الفرنسوية مدنها الاربع أي دمشق وحلب وحمص وحماة لان بريطانيا العظمى قطعت عهداً للعرب بان تؤلف لهم حكومة عربية وفعلا تراجع الجيش البريطاني الى شرقي الاردن وفلسطين وعينت الحكومة البريطانية السر هربرت صموئيل مندوباً سامياً

لفلسطين وعينت فرنسا من جهتها الجنرال غورو مفوضاً سامياً للبنان وسورية على أن يعمل مستقلاً باسم دولته اذ أن الفرنسويين من قبله كانوا يعملون بقيادة الفيلد مرشال اللورد اللنبي القائد البريطاني العام حتى في لبنان

ولما وصل الجنرال غورو الى بيروت في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٩ خفت الوفود من جميع انحاء البلاد لاستقباله وبينها وفد درزي برئاسة يوسف بك الاطرش وفهد بك الاطرش فقابل الجنرال اعضاءه بالبشاشة والترحاب ووعدهم بأن يختار له حرساً خاصاً من بين مواطنيهم

وحدث بعد ذلك ان وقع الخلاف الشهير بين الامير فيصل والحكومة الفرنسوية وانتهى الامر بخروج الامير من دمشق كما هو معلوم فأخذ رجال الانتداب يجمعون السلاح من البادية والحاضرة وفرضوا على المدن الاربع غرامة حربية قدرها مئتا الف ليرة عثمانية فأبى اهل حوران الاذعان وثاروا على ولاة الامور الفرنسويين بزعامة اركان عشائر الحوارنة فرأى علاء الدين بك الدروبي وكان رئيساً للوزارة السورية يومئذ ان يجتمع بالحوارنة بنفسه ويسدي اليهم النصيحة بالكف عن القتال والاخلاد الى السكينة فرحل الى ديارهم مستصحباً معه عبد الرحمن بك اليوسف وعطا الايوبي بك من اعضاء الوزارة وبعض الاعيان والوجهاء فما كاد القطار الذي يقلهم يصل الى محطة خربة الغزالة (١٨ يوليو سنة ١٩٢٠) حتى هجم عليه الثوار



(١) الامير محمد الفاعور (٢) حقي بك العظم (٣) الامير سعيد الجزائري

يبحثون عن مركبة الوزراء فلما شعر هؤلاء بالخطر المحدق بهم حاولوا الالتجاء الى المحطة فأدركهم الهاجمون وقتلوا عبد الرحمن بك يوسف وعلاء الدين بك الدروبي وغيرهما

فجردت السلطة الفرنسوية عندئذ حملة قوية على اهل حوران وبعد قتال عنيف دار بين الفريقين اياماً تغلب الفرنسويون على الثائرين فسلم اليهم هؤلاء سلاحهم ودفعوا غرامة قدرها مئة وعشرون الف ليرة عثمانية ذهباً منها عشرة آلاف ليرة دية لاسرة كل من الوزيرين المقتولين

وظن رجال الانتداب ان خضد شوكة الحوارنة ينسي اهل جبل الدروز حقوقهم ومطالبهم غير انهم ما لبثوا ان تبينوا خطأهم لما بلغهم ان المساعي تبذل في الجبل لعقد مؤتمر عام يقرر فيه الدروز الخطة التي ينتهجونها تجاه الدولة المنتدبة وكانوا ينقسمون يومئذ الى ثلاثة اقسام قسم بزعامة الامير سليم الاطرش وقسم بزعامة طلال باشا عامر وقسم بزعامة مصطفى بك نجم الاطرش ومع ان هذه الاحزاب الثلاثة كانت متباينة — في بادىء الامر — في بعض نزعاتها غير انها كانت كلها متفقة على قبول الانتداب

اما سلطان باشا الاطرش فلزم يومئذ الحياد مكتفياً بمراقبة اعمال مواطنيه عن كثب

وادت المباحثات التمهيدية بين رجال الاحزاب الثلاثة المشار اليها آنفاً الى عقد المؤتمر في السويداء في ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٢٠ واليك

صورة القرار الذي قرره اعضاؤه :

قرار مؤتمر جبل الدروز

١ — حكومة جبل الدروز هي حكومة شورية ومستقلة استقلالا داخلياً تاماً

٢ — تقبل حكومة الجبل الانتداب الفرنسوي بشكل لا يمس استقلالها

٣ — تسمى هذه الحكومة مشيخة جبل حوران ويدخل ضمنها وكامل وغربي اللجاه والصفاء ويمتد الى حدود دير علي (ودير علي قرية تبعد عن دمشق ثلاث ساعات) من الجهة الشمالية والى حدود الازرق من الجهة الجنوبية

٤ — يرأس هذه الحكومة حاكم اهلي ينتخبه الاهالي وفقاً لقانون مخصوص مرة كل ثلاث سنوات ويكون لها مجلس إستشاري كبير تنتخب اعضاءه وفقاً لقانون مخصوص مرة كل ثلاث سنوات

٥ — يقوم هذا المجلس مقام المجلس الملي ولا يقل اعضاؤه عن ثلاثين عضواً

٦ — تعين وتحدد صلاحية ووظيفة كل من الرئيس والمجلس بقانون خاص يوافق عليه عموم اهل البلاد بجمعية عامة

٧ — تستمد حكومة الجبل ما تحتاج اليه من المساعدة المالية والفنية والاقتصادية من الحكومة المنتدبة

٨ — لا يحق للحكومة المنتدبة المداخلة بامور الجبل الداخلية





المسيو اوبوار — وهو الذي يقال انهُ أمر باطلاق المدافع على دمشق

ولا تجنيد اهالي جبل حوران ولا تنزع الاسلحة منهم ضمن المنقطة الفرنسوية

٩ — يعهد بامور الجبل السياسية الخارجية لمأموري الحكومة المنتدبة السياسيين ولا يكون للحكومة الوطنيـة مأمورون سياسيون الا في الشام وفلسطين وجبل لبنان

١٠ — وارادات هـذه الحـكومة تكون أولا : ما يصيبها من حصة الجمارك السورية والفلسطينية . ثانياً : ما يصيبها من واردات ممالح ازرع وكاف . ثالثاً : واردات قرى أملاك الدولة التي ستدخل ضمن حـدود حكومة الجبل . رابعاً : ما يطرحه المجلس الملي من الضرائب عند الاحتياج المبرم على أنه لا يحق لهـذا المجلس ان يقرر استيفاء ضريبة الاعشار من حاصلات الاراضي انما الاموال التي يجوز له ان يقرر استيفاءها من الاراضي يجب أن تكون مقطوعة ومصدقاً عليها من عموم أهل البلاد بجمعية عامة

١١ — اذا خالف رئيس الحكومة منافع الجبل العمومية ومصالحه الحيوية واخل بالقوانين الاساسية وأعطى قراراً من المجلس من دون ان يحصل على فتوى من مشايخ العقل بذلك فحينئذ يتنحى وينتخب خلافه

١٢ — مشايخ العقل يكونون منصوبين لقيد الحياة ولا يعزلون ولا يحق للحكومتين الوطنية والمنتدبة المداخلة بوظائفهم الدينية

وبعد ما فرغ المؤتمر من وضع هذه القرارات ارسلها الى رئيس البعثة الفرنسوية في دمشق مرفقة بالكتاب التالي :

لحضرة رئيس البعثة الافرنسي في دمشق الافخم

«بناء على بلاغاتكم المتكررة للرؤساء الروحيين لنا الشرف ان نقدم لسعادتكم بالنيابة عن عامة الشعب الدرزي في جبل حوران برنامج الاستقلال المدرج أعلاه الذي يطلبه الشعب لكي تتكرموا بتقديمه لحضرة صاحب الفخامة المندوب السامي راجين ان يتوسل بالتصديق عليه من قبل حكومة الجمهورية الافرنسية المعظمة واقبلوا فائق احتراماتنا»

في ٢٠ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٢٠

الامضاءات

الرؤساء الروحيون ومشايخ الجبل

وعلى اثر ذلك اوفد زعماء الجبل الى دمشق وفداً مؤلفاً من الامير سليم الاطرش ونسيب بك الاطرش وعبد الغفار باشا الاطرش وفضل الله باشا هنيدي وغيرهم للالحاح على البعثة الفرنسوية في التعجيل باجابة الدروز الى مطالبهم الشرعية والظاهر ان هذا الوفد اساء التصرف في الامانة الملقاة في عنقه واتفق مع الفرنسويين على اتفاقية جديدة صاغتها الفوضية الفرنسوية ولما عاد الامير سليم الى الجبل لم يقوَ على الاعتراف بالحقيقة فجاهر لمواطنيه بان الحكومة الفرنسوية سلمت بالقرارات التي قرروها في مؤتمرهم العام

وقد نشرت جريدة الاهرام في عددها الصادر في اول اغسطس نص المعاهدة [1] « المنقحة » كما وقعها المسيو روبير دي كيه في

(١) ونشرها المقطم ايضاً

٤ مارس سنة ١٩٢١ بالنيابة عن الحكومة الفرنسوية والوفد الدرزي بالنيابة عن اهل الجبل من دون ان يكون لهم علم بها وهذه موادها :

(١) تتشكل في جبل دروز حوران حكومة وطنية مستقلة استقلالا ادارياً واسعاً تحت الانتداب الفرنسوي أما حدود هذه الحكومة الجديدة فتعينها لجنة ثم تقررها الدولة المنتدبة

(٢) تكون هذه الحكومة وطنية ويعين موظفوها من ابناء البلاد ويكون طراز ادارتها منطبقاً على العادات المحلية وتقدم الحكومة المنتدبة مستشارين فرنسويين يدربون الحكومة الوطنية على الامور القانونية والادارية ويكون مرجعهم رئيس البعثة الفرنسوية في الشام أما اسم هذه الحكومة فيحتفظ به الآن الى ان يتم الاتفاق عليه مع المندوب السامي

(٣) يرأس هذه الحكومة حاكم أهلي ينتخبه ممثلو الشعب القانونيون لمدة أربع سنوات بمقتضى قانون خاص يسن فيما بعد ولا يصبح انتخابه نهائياً الا بعد مصادقة الحكومة المنتدبة عليه

(٤) يساعد الحاكم في مهامه مجلسان يدعى الاول مجلس الحكومة والثاني اللجنة الادارية وينتخب ممثلو الامة مجلس الحكومة لمدة ثلاث سنوات طبقاً لقانون خاص يوضع فيما بعد ويلتئم هذا المجلس مرة في السنة لتقرير ميزانية الحكومة والموافقة على حسابات السنة الماضية ويقدم اقتراحات تتعلق بالمصالح العامة كالاشغال العمومية والصحة والاسعاف والمعارف أما اللجنة الادارية فيكون اجتماعها بصفة دائمة

وتؤلف من موظفين يعينهم الحاكم ومندوبين ينتخبهم مجلس الحكومة

(٥) ينظم قانون خاص تحدد به وظائف الحاكم وصلاحيته وصلاحية مجلس الحكومة واللجنة الادارية وكيفية تأليفهما ويعهد الى لجنة خاصة في تنظيم هذا القانون ولا يصبح نافذاً الا بعد مصادقة الدولة المنتدبة عليه

(٦) ان الحكومة المنتدبة وحدها دون سواها تقدم الى حكومة جبل الدروز كل مساعدة فنية أو مالية أو اقتصادية أو عسكرية تحتاج هذه الحكومة اليها

(٧) تتعهد الحكومة المنتدبة بأن تستثني سكان جبل الدروز من الخدمة العسكرية الاجبارية أما قوات الدرك والشرطة الذين يلزمون لحفظ النظام العام فيؤخذون تطوعاً ويسمح لسكان الجبل بان يبقوا اسلحتهم بايديهم في داخل حدود الحكومة الدرزية اما في خارجها فيجب عليهم الخضوع للاحكام الموضوعة لحمل السلاح وتحتفظ الحكومة المنتدبة بحق وضع قوات عسكرية في داخل منطقة جبل الدروز اذا رأت حاجة الى ذلك

(٨) ان الحكومة المنتدبة هي وحدها تتولى مصالح الحكومة الدرزية وتمثلها في الخارج أما داخل المنطقة الفرنسوية فالحكومة المنتدبة تقبل معتمدين لحكومة الجبل لاجل المصالح الاقتصادية

(٩) تتعهد الدولة المنتدبة بان لا تجبر حكومة جبل الدروز على الانتظام في الوحدة التي يحتمل حصولها في المستقبل بين البلاد

السورية الا فيما يتعلق بالمسائل الاقتصادية التي تعود بالنفع على الحكومة الدرزية وسائر المقاطعات السورية

(١٠) ان مصادر الايراد لميزانية حكومة جبل الدروز هي اولاً الضرائب والرسوم المختلفة التي يفرضها مجلس الحكومة. ثانياً الرسوم التي تفرض على المناجم المعدنية التي يحتمل اكتشافها في اراضي هذه الحكومة. ثالثاً واردات اقسام الاراضي السنية (التركية) التي كانت تستولى عليها الحكومة العثمانية والتي يحتمل ادخالها في منطقة حكومة جبل الدروز الجديدة ولا توضع اعشار في هذه الحكومة

(١١) لا تصير ميزانية حكومة جبل الدروز نافذة الا بعد مصادقة المندوب السامي الجمهورية الفرنسوية في سوريا

(١٢) لا تقام حواجز جمركية بين حكومة الجبل وحكومة ومقاطعات دمشق ولكن يحق لحكومة الجبل ان تأخذ حقها من واردات الجمارك السورية اذا عين حصص لسائر المقاطعات السورية (قد أصاب جبل الدروز من رسوم هذه الجمارك منذ ثلاث سنوات مبلغ اربعين الف ليرة ذهباً).

(١٣) انه في الاحوال المذكورة في القانون الخاص المتعلق بصلاحية الحاكم ووظيفته يحق لمجلس الحكومة ان يطلب من الدولة المنتدبة اسقاط هذا الحاكم وتصدر الدولة المنتدبة قراراً في هذا الشأن بعد استشارة رؤساء الدين اذا وافقت على اسقاطه

(١٤) لا تتدخل الحكومة المنتدبة ولا مجلس حكومة الجبل ولا

اللجنة ادارية في الامور الدينية ولا يجوز للسلطة المدنية عزل رؤساء الدين أو كف يدهم عن عملهم .

(١٥) تتعهد الدولة المنتدبة وحكومة الجبل المحلية بالمحافظة على حقوق الاقليات في داخل الجبل .

وعلى اثر نشر جريدة الاهرام لنص المعاهدة التي اوردناها آنفاً تلقى مؤلف هذا الكتاب الرسالة التالية من احد اصدقائه السوريين وهو من كبار المشتغلين بالقضية السورية :

« قرأت في عدد الاهرام المؤرخ في ١ اغسطس سنة ١٩٢٥ نصاً للاتفاق الاساسي الذي يقال انه عقد بين الدروز والفرنسيين . ولما لم يكن ثمة اتفاق قد قبله عدد من شيوخ الجبل يصح ان يقال عنهم انهم ممثلو الدروز ، وكان الطلب العام الذي قدمه الدروز للحكومة الفرنسية ، الطلب المحتوي على شكل استقلالهم ، مغايراً بنصه لهذا الاتفاق المزعوم رأيت ايضاحاً للحقيقة ان آتي بتفاصيل ما حدث في هذا الشأن : —

« ان الحكومة الفرنسية كانت قبل احتلال سوريا الشرقية قد وعدت بلسان جنرال غورو بعض زعماء الجبل باعطائهم استقلالاً تاماً وبعد ان احتل الفرنسيون سوريا ايدت المفوضية العليا هذا الوعد بكتاب رسمي بعثت به الى مشايخ الجبل تقول فيه ان الحكومة الفرنسية مستعدة لاعطاء الجبل استقلالاً تاماً ، فعندما وصل هذا الكتاب الى الجبل ، عقد اجتماع عام في (قنوات) احدى قصبات الجبل ، وبحث في صورة الاستقلال الذي يجب عليهم ان يطلبوا من الحكومة

الفرنسية ان توافق عليه ، فقر قرارهم على برنامج نذكره في هذه المقالة غير ان السلطة الفرنسية في دمشق لم يرق لديها هذا الطلب فعمدت باتفاق مع سليم باشا الاطرش الى تنقيحه فنقحته على الصورة التي نشرت في جريدة الاهرام . ولكن السلطة لم توفق الى الحصول على الموافقة على هذا الاتفاق المنقح من عدد يصح أن يقال عنه انه ممثل لاهل الجبل . فاكتفت السلطة بالموافقة عليه من ستة عشر شيخاً لا يمثل احد منهم الا نفسه ، سوى سليم باشا الاطرش الذي كان وقتئذ يمثل قسماً من عائلة آل الاطرش . والى القارىء مواد الطلب مقارنة مع المواد التي نقحت وهذه الاخيرة اي المنقحة واردة بين هلالين بعد كل مادة اصلية

المادة الأولى : — تتشكل في جبل دروزحوران حكومة وطنية مستقلة استقلالاً ادارياً تاماً وحدود هذه الحكومة الفاصلة بينها وبين سوريا ، تعينها لجنة مختلطة من الحكومتين حكومة الجبل وحكومة سوريا

(تتشكل في جبل دروز حوران حكومة وطنية مستقلة استقلالا اداريا واسماً تحت الانتداب الفرنسي ، اما حدود هذه الحكومة الجديدة تعينها لجنة ثم تقررها الدولة المنتدبة)

المادة الثانية — تسمى هذه الحكومة امارة جبل حوران .

(تكون هذه الحكومة وطنية ويعين موظفوها من ابناء البلاد ويكون طراز ادارتها منطبقاً على العوائد المحلية .وتقدم الحكومة المنتدبة مستشارين فرنسيين يقيمون لدى الحكومة الوطنية لاجل تدريبها

في الامور القانونية والادارية ويكون مرجعهم رئيس البعثة الفرنسية في الشام .اما اسم هذه الحكومة فيحتفظ به الآن بينما يتم الاتفاق عليه مع المندوب السامي)

المادة الثالثة — يرأس هذه الحكومة حاكم اهلي ينتخب بواسطة ممثلي الشعب القانونيين لمدة أربع سنوات . وبموجب قانون خاص يسن لهذه الغاية .

أما المادة المنقحة فلم تتغير بل زيد عليها (ولا يصح انتخاب الحاكم نهائياً الا بعد مصادقة الدولة المنتدبة عليه)

المادة الرابعة — يكون لهذه الحكومة مجلس ملي ينتخب بواسطة ممثلي الشعب القانونيين لمدة ثلاث سنوات . وفقاً لقانون خاص يسن لهذه الغاية .

(يساعد الحاكم في مهامه مجلسان يدعى الاول مجلس الحكومة والثاني اللجنة الادارية . وينتخب مجلس الحكومة لمدة ثلاث سنوات ممثلو الامة وفقاً لقانون خاص يوضع فيما بعد . ويلتئم هذا المجلس مرة في السنة لاجل تدقيق موازنة الحكومة والموافقة على حسابات السنة الماضية . ويقدم اقتراحات فيما يتعلق بالمصالح العامة كالاشغال العمومية والصحة والاسعاف والمعارف الخ . . . أما اللجنة الادارية فيكون اجتماعها بصورة دائمة وتكون مؤلفة من موظفين يعينهم الحاكم ومندوبين ينتخبهم مجلس الحكومة)

المادة الخامسة — يسن قانون خاص تعين به وظيفة الحاكم



دمَشق

المادة السادسة — اذا احتاجت حكومة الجبل الى مساعدة فنية أومالية أواقتصادية ، فهي تطلبها من الحكومة الفرنسية المنتدبة على سوريا

(ان الحكومة المنتدبة وحدها دون سواها تقدم لحكومة جبل الدروز المساعدة الفنية والمالية والعسكرية التي قد تحتاج اليها)

المادة السابعة — يحافظ على الامن العام داخل الجبل بواسطة قواد الدرك والشرطة الوطنيين . ولا تتعرض السلطة الفرنسية لمنع التسلح داخل الجبل .

(تتعهد الحكومة المنتدبة باستثناء سكان جبل الدروز من الخدمة العسكرية الاجبارية . أما قوات الدرك والشرطة اللازمة لحفظ الأمن العمومي فيصير تشكيلها بطريقة التطوع . ويسمح لسكان الجبل بابقاء الاسلحة بين أيديهم داخل حدود الحكومة الدرزية ، أما في خارج هذه الحدود فيجب على السكان المذكورين الخضوع للاحكام الموضوعة بخصوص حمل السلاح)

المادة الثامنة — ان الحكومة الفرنسية تتولى في الخارج رؤية مصالح حكومة الجبل مع تمثيلها .

على انه يكون لحكومة الجبل ممثلون في سوريا وفلسطين وجبل لبنان .

(ان الحكومة المنتدبة هي المكلفة وحدها بمصالح الحكومة الدرزية وبتمثيلها في الخارج ، أما في داخل المنطقة الفرنسية فتقبل الحكومة المنتدبة معتمدين لحكومة الجبل لاجل المصالح الاقتصادية)

المادة التاسعة — لحكومة الجبل وحدها الحق بقبول الاندماج في الوحدة السورية المحتمل حصولها ولا يحق للسلطة الفرنسية تدخل في هذا الأمر

(تتعهد الدولة المنتدبة بعدم اجبار حكومة جبل الدروز على الدخول في الوحدة المحتمل حصولها فيما بعد بين البلاد السورية الا في ما يختص بالمسائل الاقتصادية العائدة منفعتها على الحكومة الدرزية وسائر المقاطعات السورية)

المادة العاشرة — واردات حكومة الجبل تتشكل من المصادر الآتية (١) الضرائب والرسوم المختلفة التي يفرضها المجلس على الاراضي والمناجم المعدنية المحتمل اكتشافها (٢) واردات الاراضي السنية التي كانت سابقاً للحكومة العثمانية وهي الاراضي المحتمل ادخالها ضمن منطقة جبل الدروز . (٣) ما يخص الجبل من واردات الجمارك في سوريا وفلسطين (٤) واردات مما لح قريات الملح

(بقيت هذه المادة كما هي ولكن اسقط منها المصدر الرابع الملح وقد زيد في التنقيح مادة أخرى تنص على ان ميزانية حكومة الجبل لا تصبح نافذة الا بعد موافقة المندوب السامي)

المادة الحادية عشرة — لا يحق للسلطة الفرنسية ان تقيم عسكراً في الجبل

(قد اسقطت هذه المادة برمتها واستعيض منها بالقيد الوارد في المادة السادسة المنقحة بكلمة (والعسكرية)



بعد اطلاق المدافع الفرنسوية على دمشق

المادة الثانية عشرة — يمكن لمجلس حكومة الجبل ان يقرر بعد استشارة رؤساء الدين تنحية الحاكم قبل انتهاء مدته اذا صدر من الحاكم افعال تنافي مصالح الجبل الحيوية . (يمكن لمجلس الحكومة ان يطلب من الدولة المنتدبة في الاحوال المذكورة بالقانون الخاص المتعلق بصلاحية الحاكم ووظائفه تنحية الحاكم ، وتتخذ الدولة المنتدبة قراراً في هذا الشأن بعد استشارة رؤساء الدين)

المادة الثالثة عشرة — ان السلطة الفرنسية وحكومة الجبل لا تتدخلان على الاطلاق في الامور الدينية ، ولا يجوز للسلطة المدنية عزل رؤساء الدين ولا تنحيتهم

كادت هذه المادة تبقى كما هي

المادة الرابعة عشرة — تتعهد حكومة الجبل بالمحافظة على حقوق الاقليات

كادت هذه المادة لا تنقح

اما الاتفاق الموقع عليه من سكرتير المفوضية الفرنسية فلم ينشر وبقي نصه مكتوماً وكان سليم باشا الاطرش يخدع الدروز بقوله لهم ان السلطة قد قبلت الطلب الذي اتفق عليه أهل البلاد وبهذه الصورة تمكن سليم من ادخال الفرنسيين الى الجبل ولكن هؤلاء بعدما ثبتوا أقدامهم في الجبل لم يلتفتوا للطلب الأصلي حتى ولم يراعوا الاتفاق الذي وقع عليه سكرتير المفوضية والذي نشر مؤخراً في الصحف فحدثت بسبب ذلك الثورة الحاضرة في الجبل»

الفصل الرابع

الفرنسويون فى الجبل — ثورة سلطان الاولى

اعتراف فرنسا بالاستقلال الاداري لجبل الدروز — المجلس النيابي الدرزي — علم جبل الدروز — منشور متعب بك الاطرش — خطة المفوضية الفرنسوية — الهياج فى الجبل — الاميرسليم الاطرش في دمشق — وفاة الامير سليم — تعيين الكابتن كاربييه حاكماً بالنيابة — كيفية انتخاب الكابتن كاربييه حاكماً أصيلا

حادثة أدهم خنجر — كيف قبض الفرنسويون على أدهم — سلطان وشجاعته — رحيل سلطان باشا الى حدود شرقي الاردن وموقف ولاة أمور تلك البلاد تجاهه — مكيدة الفرنسويين للقبض عليه — عودته الى الجبل — العفو عنه

في ٥ ابريل سنة ١٩٢١ اعترفت الدولة المنتدبة باستقلال جبل الدروز استقلالاً اداريا وفي ٢٠ منه خول الامير سليم الاطرش بأمر من الجنرال غورو حق تأليف الحكومة الوطنية فأرسل الامير في ٢٥

منه يدعو جميع زعماء الجبل الى الاجتماع في السويداء في اليوم الاول من شهر مايو التالي فلبوا دعوته ولما اكتمل عقد اجتماعهم نادوا به أميراً على جبلهم وقرروا أيضاً أن يقسم الجبل الى ثلاث عشرة مقاطعة على كل منها مدير ملكي وضابط عسكري وأن يؤلف مجلس نيابي ينتخبه الشعب انتخاباً حراً على أن ينوب عن كل مقاطعة مندوبان

وفي ٦ مايو سنة ١٩٢١ عقد المجلس النيابي المنتخب وشرع في تأليف الحكومة المحلية وجرت عملية انتخاب المديرين على الطريقة الشعبية ثم استقر القرار على أن يؤلف علم الجبل من خمسة الوان يرمز بها الى سليمان الفارسي والمقداد بن الاسود وعمار بن ياسر وهاني بن مسعود وبهاء الدين فتألف من اللون الاخضر والاحمر والاصفر والازرق والاسود ورسم على جانبه الايسر ١٣ نجمة رمزاً الى المقاطعات الثلاث عشرة التي ينوب عنها نواب الجبل

وفي ٢٦ مايو سنة ١٩٢١ افتتح المجلس النيابي الدرزي الاول رسمياً بحضور الامير سليم الاطرش حاكم الجبل ومستشاره القومندان ترانكا

وفي ابريل سنة ١٩٢٢ قدم السويداء المسيو شفلر معتمد المفوضية في دمشق وأعلن في اليوم الخامس من ذلك الشهر استقلال جبل الدروز رسمياً في احتفال عظيم

ثم عهد المسيو شفلر الى الامير سليم ومتعب بك الاطرش في اطلاع

مواطنيهما على الخطة التي تنوي السلطة الفرنسية انتهاجها في الجبل فنشر متعب بك عليهم المنشور التالي :

الى عموم بكوات ومشايخ الجبل ابناء العم المحترمين

بعد التحية والسلام ابدي لا بد بلغتكم المشاغبات الحاضرة فان ذوي الغايات والاغراض الفاسدة يقلقون أفكاركم ببعض أقوال ككثرة الضرائب وزيادة الاموال والاعشار وانها ناتجة عن طلب الحكومة الافرنسية من ابن عمنا سليم باشا الاطرش فالرد على اولئك المفسدين هو في غاية الصراحة والبرهان الجلي :

اولا — بيننا وبين الحكومة الافرنسية اتفاق ممضي منا ومنهم لايمكن يصير زيادة عن محتوياته شيء

ثانياً — الحكومة الافرنسية ما لها من منتوج الجبل شيء حتى انها تهتم بكثرة الضرائب والاموال

ثالثاً — لا يقبل رجال حكومة فرنسا ان يكون في أول انشاء حكومة في الجبل الاستبداد والظلم

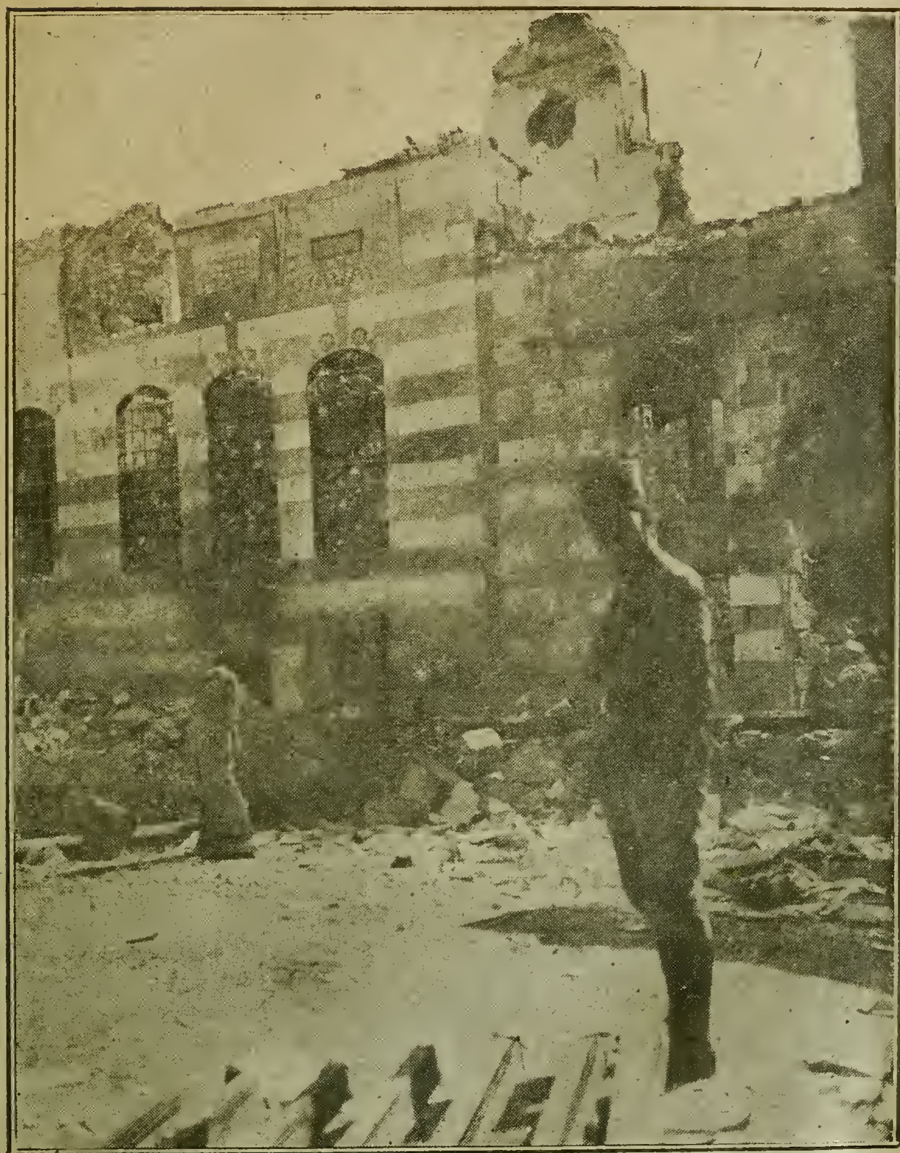
والآن بعد هذه البراهين الثلاثة كفاية في انكم تحققون حسن نيات رجال الحكومة الافرنسية نحو الجبل والمطلوب منكم ان تنبذوا من بينكم كل اولئك المفسدين الغواة الذين يضلونكم عن الطريق السوي واعلموا وحققوا خطأ اولئك الغواة من دعوتهم الاولى في توهيمكم ودفعكم في تيار الشريف فيصل ولا يلزم على نباهتكم وذكائكم برهان عن ماضي آخر اولئك الدجالين وقصر معارفهم وسوء مقاصدهم .



المتاريس الفرنسوية في شوارع دمشق

وعن ملاحظاتكم في خطة ابن عمنا سليم باشا في تكثير الدرك ثم اعلانه ما يتقرر على الفدان. وهو أربع ليرات أو خمس وطلب التمتع والاعداد منكم وماشابه ذلك فهذا لا كما فسره لكم المفسدون الذين يريدون بذلك تنفيركم من حكومة فرنسا ومساعدة خفية اعتبارها لغز من الغاز السياسة . بل غاية سليم باشا هي مجردة عن كل هذه الاوهام وهذه المضار ولا يريد من كثرة المال والاعشار وطلب الضرائب فوراً الا أن يتمكن أولا من ايجاد حكومة في الجبل ثانياً من صدم بعض الاشقياء دون تعجيز الجميع ثالثاً من قطع جراثيم ذلك العضو الفاسد الذي مازال ولم يزل يعمل على خراب البلاد وها هو الآن عندما تحقق رغبتكم في ان يكون على الفدان ليرتان فقط لاغير قبل تطبيق رغبتكم وان يوافق على جميع أهواء الشعب وصرح ان هذا الامر وغيره منوط باكثرية مجلس النواب ونظراً الى ان هذه الاشاعات تحول عن كل عناد واصرار ضد المألوف تجاه الرأي العام وتعلمون انني الآن أيها الاخوان على جانب عظيم من الكدر انا وسليم باشا ولكن لايجوز انكار الحقيقة عليكم وادحض كل الدحض اتهام سليم باشا في اتخاذه هذه الخطة عمداً .والآن اقول قولاً آخر وهو ان لاتصدقوا ان فرنسا تخرج من سوريا أو تجعل حدودها «المكسوة» فهذا أيها الاخوان دحضناه في الوقت الذي كان غيري يؤكده ونظرتم صدق قولي وكذب قول غيري فاعلموا انه لايمكن ان يكون من جبل الدروز متر ارض خارجاً عن الانتداب الافرنسي وبالفرض

لا سمح الله وكان أو جرى شيء من هذا فأنبه افكاركم الى حادث بسيط وهو في اول هذا الشهر عندما توجه حصاد السويداء الى سهوة القمح احدى قرى حوران المجاورة للجبل وقصدوا حصد زرعهم كيف لاقاهم اهل تلك القرية واحتقروهم واتلفوا بعض زرعهم واشتغل بينهم الشر مقدار نصف ساعة أوشك أن يشترك فيه الجبل وحوران وكيف قالوا متجاسرين مكبرين مضى زمان عزكم أيها الكفار فها الشريف وها فرنسا سوف ترحل فانظروا واتعظوا من ان زمان عزكم ومجدكم هو الزمان الذي تكون فرنسا في سوريا وانظروا في مدة الشريف كيف كانت رجاله تطغى على رجالكم في المال والرتب وكيف عدلوا برنامجكم في سلب استقلالكم وخلود مجدكم فالآن ايها الاخوان ادعوكم الى النظر في هذه الاشياء واعلموا ان فخامة الجنرال غورو أمرني ان ابلغكم تحياته وحبه لكم وانه مقدر جبل الدروز حق قدره وانه سيجعله أحسن بقعة في سوريا وان له عناية مخصوصة فيكم عموماً وأمرني حفظه الله ان أبلغكم انه من الخطأ ان يكره الذين خدموا الشريف فيصل بل هو الآن يعتبر جبل الدروز من حيث المجموع صديقاً مخلصاً وأبرهن لكم في الموضوع برهاناً هو امامكم لأجل تأكيد حسن نياته وهذا البرهان ليس خفياً على بصيرتكم ولا وجوب لذكره واعلموا ياقوم ان فخامة الجنرال غورو بعيد في الظاهر والباطن مما تقوله تلك الفئة الشريرة من ان السياسة قضت عليه الآن ان يعتبركم عموماً دون تفريق وردي على ذلك أن فيه الخراب كما تعلمون



بعد تخریب دمشق

وتحققون ان الحزب الثاني كان ضعيفاً جداً. ففخامة الجنرال لن يحتاج الى استعمال السياسة ففرنسا قادرة على كبح جماح عدوها ومعها شدة اخلاص الذين اهتموا بمصلحة وطنهم واخلصوا فى خدمته ولا يلزم تطويل الشرح في ضعف الحزب المعارض واعلموا ان خطة فخامة الجنرال كانت كما قال المثل :

« نريد نفتح القلوب بالاحسان لا بالسيوف ونحسن لمن أساء الينا »

والبرهان امامكم ايها المحترمون فعليه ادعوكم الى تشكيل حكومتكم دعوكم الى مصلحة وطنكم ادعوكم الى نبذ أولئك الاشرار المفسدين الغواة الذين اثبت لكم الزمان ضرر مهمتهم وقباحة مهنتهم وهذا مايلزم واطال الله بقاءكم وارشدكم الى الصواب

الجاهد في سبيل استقلالكم

رساس متعب الاطرش

وغني عن البيان ان المراد « بذوي الغايات والاغراض الفاسدة » الذين اشار اليهم متعب بك الأطرش في منشوره هو سلطان باشا الاطرش وكل من شاطره ثورته الفكرية على الفرنسويين

غير ان الحالة في الجبل لم تتحسن على أثر نشر ذلك المنشور وأدى ازدياد الهياج في البلاد الى رحيل الامير سليم الاطرش عنها ونزوله دمشق فمكث فيها من اكتوبر سنة ١٩٢٢ الى يوليو سنة ١٩٢٣

ويقول الكاتب السياسي القدير الاستاذ محمود عزمي — في

احدى المقالات الممتعة التى انشأها في جريدة السياسة الغراء بعد عودته من الرحلة التي رحلها الى الاقطار السورية في ١ كتوبر سنة ١٩٢٥ لاستطلاع العوامل التي أدت الى نشوب الحرب الدرزية ووقوع الثورة السورية — ان هناك « من يقول ان الامير سليماً لم يلجأ يومئذ الى طلب هذه الاجازة مختاراً بل ان المفوضية الفرنسية هي التي دفتعه الى طلبها لانها كانت قد اعتزمت تنفيذ خطة ازاء الجبل تعرف ان الامير سليماً لا يقرها عليها »

وناب عن الامير سليم في اثناء غيابه عن الجبل الكابتن ترانكا

وفي يوليو سنة ١٩٢٣ عاد الامير سليم الاطرش الى تقلد اعباء منصبه فاستقال الكابتن ترانكا وعينت السلطة الفرنسوية الكابتن « كاربيه » مكانه

وفي ١٥ سبتمبر سنة ١٩٢٣ أسلم الامير سليم الاطرش الروح على اثر مرض تغلب على حيل الاطباء ولم ينجع فيه دواء

وقد تضاربت الاراء يومئذ في اسباب وفاة الامير فقال بعضهم انه مات موتاً طبيعياً وقال آخرون بل انه مات مسموماً وذهب فريق ثالث الى القول ان الفرنسويين هم الذين دسوا له السم والله اعلم !

وما كاد الامير سليم ينتقل الى دار البقاء حتى اخذ الزعماء يتنازعون الامارة والحكم على الجبل وكان في مقدمة من رشح نفسه ليحل محله حمد بك الاطرش عم الامير المتوفى وعبد الغفار بك الاطرش فتذرعت السلطة الفرنسوية بانقسام الكلمة بين اصحاب الرأي والزعامة وعينت

الكابتن كاربييه رئيساً لحكومة الجبل بالنيابة فما لبث أشهراً حتى أصبح حاكماً اصيلاً بانتخاب المجلس النيابي

واليك الطريقة التي تم بها ذلك الانتخاب المخجل فان الكابتن كاربييه دعا اليه ذات يوم اعضاء المجلس النيابي — ومعظمهم ممن لا يحسن القراءة والكتابة — وقال لهم : يجب عليكم ان تختاروا حاكماً لكم بالاقتراع فمن شاء حاكما وطنياً التى في صندوق الاقتراع ورقة بيضاء ومن شاء حاكما فرنسوياً رمى ورقة سوداء ثم طاف بنفسه على الاعضاء يجمع الاوراق ثم فتحها واعلن النتيجة وهي انتخابه للحاكمية باتفاق الاراء وبالاقتراع الشعبي

***

وفي عهد المستشار ترانكا حدثت حادثة « ادهم خنجر » أو ثورة سلطان الاطرش الاولى وتتلخص تلك الحادثة في ان السلطة الفرنسوية اتهمت في ذلك الحين المدعو ادهم خنجر بالاشتراك في محاولة اغتيال الجنرال غورو فرحل ادهم الى جبل الدروز وحل في ليل ١٧ يوليو سنة ١٩٢٢ ضيفاً على سلطان باشا في داره في « القرية » وكان يومئذ غائباً عنها فلما علمت السلطة بوجود ادهم هناك اطلقت الجند في اثره فقبضوا عليه وأتوا به الى السويداء العاصمة فارسل كتاباً الى سلطان باشا يقص عليه قصته فشق على الزعيم أن ينتهك ولاة الامور حرمة داره على هذا المنوال وابرق الى ابن عمه الامير سليم حاكم الجبل محتجاً على السلطة طالباً منه ان يتوسط بينه وبينها في اطلاق سراح ادهم

وأرسل سلطان في الوقت عينه تلغرافاً الى المندوب السامي في بيروت يقول له فيه « ان موتي واهانة ضيفي سيان عندي » وختمه بطلب اطلاق سراح ادهم ولما لم يتلق رداً على برقيتيه جمع اخوته علي بك ومصطفى بك وفريد بك وصديقه حمد بك البربور واتباعه وسار على رأسهم الى تل الحديد (غربي السويداء) حيث الطريق الوحيد من السويداء الى دمشق فاهتم المستشار ترانكا بالامر وارسل قوة عسكرية لمواجهة قوة سلطان فنازلها وتغلب عليها

وقد سرد الكاتب الخاص لجريدة « النيويورك اميركان » في سورية حكاية القبض على ادهم خنجر كما يلي قال: «واتفق ساعة القبض على ادهم ان سلطاناً كان غائباً عن « القرية » فلما عاد اليها قابلته امه بقولها « انت ياولدي يامن صبغت ارض دارك بدم المواشي التي نحرتها لا كرام الضيف يجب عليك ان تحمي ضيفك » فسألها متعجباً «ومتى قصرت فى ذلك » فقصت عليه عندئذ ما جرى لادهم فبكى سلطان واخذ ينشد نشيد الدروز الحربي ثم صلى و كتب كتاباً الى ولاة الامور يقول فيه « ان هذا الرجل ضيفي فارجو منكم احترام تقاليد الضيافة المقدسة بالافراج عنه واستماع دعواه » فلم يردوا عليه فجمع اخوته وخمسة من انصاره وهجم على دار الحكومة في السويداء فعلم ان الفرنسويين انتقلوا بأدهم خنجر الى القلعة واقاموا حولها المدافع الرشاشة فكتب الى قومه يدعوهم الى التأهب للحرب . وارسل الفرنسويون في الوقت عينه ثلاث دبابات لتجلب ادهم خنجر الى

دمشق وكانت تلك الدبابات من النوع الصغير وفي كل منها رجلان فقط . ثم جمع سلطان جموعه وزحف بها على السويداء فابصر بالدبابات الثلاث وهي تدب في السهل وأدرك في الحال الغرض من قدومها الى السويداء. فاشتد حنقه واطلق لجواده العنان وهجم على الدبابات وحده اذ ان رجاله لم يتمكنوا من اللحاق به وظلوا على بعد نحو ثلاث مئة يرد منه فلما دنا من الدبابة الاولى اطلقت عليه رصاصها فأصيب برصاصتين في جبهته فلم يبال بجروحه بل رمى ببندقيته الى الارض وهجم بجواده على الدبابة وكان غطاؤها مرفوعاً لشدة الحر ولما وصل اليها استل سيفه ووثب من صهوة جواده الى الدبابة وقضى على قائدها ومعاونه ثم هجم مع رجاله على الدبابتين الاخريين وبعد معركة حامية خرج سلطان من المعمعة والنصر حليفه » (انتهت رواية الكاتب)

فارسل الفرنسويون الطيارات الى « القرية » فالقت القنابل على دار سلطان وعلى سائر القرى التي شدت أزره فخرج منها سلطان وعياله ولجأ الى حدود شرقي الاردن ودارت بينه وبين القوات الفرنسوية مناوشات شتى على الحدود

وأخيراً عيل صبر ولاة الامور الفرنسويين فأوفدوا الى سلطان باشا رسولاً يطلب منه معرفة الشروط التي يسعه بها العودة الى الجبل فأعرب الزعيم عن استعداده للمناقشة فطلب منه الفرنسويون أن يكون الاجتماع في داخل حدود جبل الدروز فادرك سلطان ان هناك مكيدة في الخفاء كادها له اعداؤه للايقاع به ومع ذلك حضر في الموعد

المضروب وقد أعد عدته لكل مفاجأة فما كادت قدماه تطاءان حدود الجبل حتى وافاه أحد أنصاره واخبره ان الفرنسويين أخذوا يحدقون به من كل حدب وصوب فغلا الدم في عروق سلطان واطلق الرصاص على من حوله واعمل السيف في رقاب الذين تعرضوا له وتمكن بشجاعته واقدامه من أن يشق لنفسه طريقاً بين جموعهم بحد حسامه فنجا من الفخ الذي نصب له وقفل راجعاً الى مخبأه على حدود شرقي الاردن

فلما بلغ السلطة الفرنسوية ماحل بجنودها اهتمت بالمسألة وكتبت الى المندوب السامي البريطاني في فلسطين ترجو منه تكليف حكومة شرقي الاردن القبض على سلطان أو اخراجه من حدودها فكتب المندوب السامي بذلك الى أمير شرقي الأردن فأمر هذا قائد الجيش الاردني الجنرال فريدريك بيك المعروف ببيك باشا بمطاردة سلطان فجرد عليه بيك حملة عسكرية بقيادة أحد الضباط السوريين فأدى مهمته ورفع بها تقريراً الى رؤسائه يتلخص في أنه لم يوفق الى الاجتماع بسلطان

وقد فهمت من بعض المطلعين ان ذلك الضابط السوري وغيره من نخبة الشبان السوريين الذين كانوا يعملون في ذلك الحين في حكومة شرقي الاردن تعمدوا ان لا يهتدي قوة الضابط المذكور الى مقر سلطان باشا وحذروا هذا خفية ونصحوه بتجنب الاماكن التي ستجتازها قوة الضابط المشار اليه

غير ان سلطاناً شعر من تلك الساعة بانه اصبح بين نارين وكان

قد تلقى في تلك الاثناء كتاباً من بعض اقربائه يخبرونه فيه ان الفرنسويين مستعدون للتساهل معه ويدعونه الى العودة الى بلده واعدين اياه بالانضمام اليه اذا حاولت السلطة ان تغدر به مرة اخرى فاجابهم سلطان بالقبول واشترط على الفرنسويين شروطاً شتى منها ان يعوضوا له من الخسارة التي الحقتها طياراتهم بمقامه في « القرية » وان يعيدوا اليه مواشيه وابقاره وان يصدروا عفواً عاماً عن جماعته وان لا يكلف الذهاب الى السويداء او الى اي جهة اخرى توجد فيها قوة فرنسوية فرضوا بجميع هذه الشروط وعاد سلطان الى قريته فنفذ الفرنسويون بعض عهودهم ونكثوا بالبعض الآخر واستمر سلطان في عزلته لا يزور السويداء ولا يشترك في حفلة ما يحضرها الفرنسويون حتى وقعت الثورة الاخيرة وكان في خلال تلك المدة يعد النفوس والافكار لتكون على تمام الاستعداد عند ما ينفخ في بوق الثورة وينشر علم الجهاد في سبيل تحرير البلاد والعباد

وفي ٥ ابريل سنة ١٩٢٥ احتفل ولاة الامور في جبل الدروز بانقضاء العام الاول على اعلان استقلال الجبل وانتهز مندوب المفوضية هذه الفرصة ليعلن عفو الدولة المنتدبة عن سلطان وصحبه

الفصل الخامس

كاربييه ! سرايل !

اخلاق الكابتن كاربييه وصفاته — أعماله في جبل الدروز — عريضة أهل الجبل للقومندان تومي مارتان — كاربييه في الاجازة — حبوط مساعي زعماء الدروز عند الجنرال سرايل — الدروز ينذرون وسرايل يتوعد — الوثائق السرية — الحوادث الأولى — القومندان تومي مارتان في الجبل — القتال بين الفرنسويين ورجال سلطان باشا

قال المندوب الخاص في سورية لجريدة « النيويورك اميركان » في وصف الكابتن كاربييه « إنه رجل عنيد شديد المراس والوطأة الى حد الجنون وقد جاهر مرة في خطبة له خطبها في درعا على أثر تقلده منصب حاكم الجبل : أنا أمبراطور بلاد عجيبة وليس الدروز سوى قطيع من الخنازير فسأعاملهم كالخنازير »

وقال المسيو هنري دي كيريليس المحرر في جريدة « الايكوي باري » الباريسية : « ويرجع تاريخ الاضطراب في جبل الدروز الى أشهر



بعد تخریب دمشق

خلت وليس لهذا الاضطراب سبب سوى الغلطات الفظيعة التي ارتكبها الجنرال سرايل والسكابتن كاربييه حاكم جبل الدروز وصنيعة المندوب السامي وصديقه وموضع ثقته فان كاربييه ظل ينكد على الدروز ويتحكم فيهم ويفرط في اجحافهم والتوسل معهم بوسائل الشدة والاستبداد حتى أثار ثورتهم بعد ما كان الجنرال فيجان قد فاز أخيراً بنشر الوية السلام على ربوعهم »

وقال المسيو بول بردوان بانلفه[1] رئيس الوزراء الفرنسوية السابق للصحافيين الباريسيين لما قابلوه في ٩ أغسطس سنة ١٩٢٥ : « أجل ان السكابتن كاربييه كان مشوراً بقسوته »

ذلك هو وصف الرجل الذي ولته السلطة الفرنسوية على جبل الدروز فكان ما كان !

*
* *

قال المسيو هنري دي كيرليس في مقالة له في «الايكو دي باري»: وكان السكابتن كاربييه يصر على ان يقام له في كل قرية يزورها استقبال كالذي يقام للامراء وكبار الزعماء وبلغ من امره انه زار مرة قريتين درزيتين متجاورتين فخف زعيماها الى استقباله على أقدامهما فما كاد يراهما حتى بادرهما قائلاً : « لماذا لم تأتيا الي راكبين » فاعتذرا اليه فصاح بهما « ستعاقبان عما بدر منكما » وفعلاً فرض عشرة جنيهات من الذهب على قريتهما»

---

(١) وكان يومئذ رئيساً للوزارة الفرنسوية ووزيراً للحربية

ثم استطرد الكاتب الى الكلام على الخلاف الذي نشأ بين نسيب بك الاطرش والكابتن كاربييه على مسألة بناء فندق في السويداء ونقل الحديث الذي دار بين الحاكم والزعيم الدرزي في هذا الصدد. قال الحاكم « انني أحظر على زائري جبل الدروز قبول الضيافة فى منازل اهل الجبل وأريد ان ينزلوا في الفندق » فاجابه الزعيم الدرزي « هذا محال فان شعبي حريص على تقاليد ورثها عن ابائه واجداده فليذهب الى الفندق من يشاء وليحل ضيفاً علينا من يشاء وانني أرى من طرف خفي ان هناك مصلحة تجارية من وراء الأمر الذي تريدون ان انفذه ولكنني لن أذعن له » قال المسيو دي كيرليس « فلم يكن من الكابتن كاربييه الا ان نفذ وعيده وقبض على فريق من الوجهاء بتهمة اضافية زائري الجبل وأرسلهم يكسرون الحجار»

وقال المندوب الخاص في سورية لجريدة النيويورك اميركان « واتفق ان معاون الكابتن كاربييه كان مثله في طبعه وصلفه وعندي بيان بما ارتكبه هذان الرجلان من السيئات وكلها يدل على انهما اساءا التصرف وتماديا في الغطرسة ومع ذلك صبر الدروز على استبدادهما آملين أن يتخلصوا منهما بتوسط الجنرال سرايل وكانوا كسائر مواطنيهم يعجبون به كثيراً ويحترمونه احتراماً كبيراً وأخيراً عيل صبرهم من تكرار حوادث الجور والاستبداد وأغربها حادثة قطة الليوتنان موريل ونحواها ان الكابتن كاربييه والليوتنان موريل كانا يقيمان في السويداء عاصمة الجبل ثم رحل موريل الى دمشق مع





المتاريس الفرنسوية في شوارع دمشق

عائلته لاجل مسمى واقفل بيته في السويداء ولكنه نسي فيه قطته والظاهر انها جاءت في آخر الأمر فهربت ولم ترجع فلما عاد الليوتنان موريل الى السويداء زار الكابتن كاربييه وقال له « لقد ضاعت قطتي » وكان كاربييه يحب موريل واتفق انه كان ثملاً في تلك الساعة فدعا اليه المنادي وأمره بالمناداة على قطة الليوتنان موريل اذ لا يخفى ان الاخبار تعلن للناس في السويداء بواسطة مناد ينادي بها من السطوح فذهب المنادي وأخذ يصيح بملء صوته : « هذا أمر من سعادة الحاكم ان قطة الليوتنان موريل قد سرقت فاذا لم توجد وتعاد اليه في خلال ٢٤ ساعة يغرم كل بيت في السويداء » قال الكاتب : « ولا اتولى هنا بسط كل ما حدث بعد ذلك بالتفصيل وحسبي ان اذكر ان كثيرين من الاهالين ارغموا على دفع الغرامة وزج بعضهم في السجن وضرب فريق منهم بالسياط وكل وذلك من أجل قطة الليوتنان موريل »

ويضيق بنا المقام هنا اذا حاولنا ان نسرد حكاية سائر السيئات والموبقات التي تسند الى الكابتن كاربييه ولذلك رأينا ان نكتفي بنشر نص العريضة التي رفعها الدروز الى القومندان تومي مارتان رئيس القلم السياسي في الجبل وهو الذي عين حاكما له بالنيابة في أبان غياب الكابتن كاربييه بالاجازة كما سيتبين للقارىء مما يلي من الكلام وهذه صورة العريضة المشار اليها وقد وصلت الى المؤلف على يد أحد كبار المشتغلين بالقضية السورية في مصر :

يا حضرة القائد

أن سوء التفاهم وحصول ما جدث والخوف من حدوث خلافه مسبب عن الامور الآتي بيانها التي لحقت بالشعب مدة حاكمية السكابتن كاربييه

١ — فتح آذان حضرة السكابتن كاربييه للجواسيس مثل يوسف جربوع وحسن الخطيب وابي حمزه وسامي افندي والشرطي فهمي افندي والامرأة نسيبة وابنتها زكية ومعلمي المدارس الذين يلفقون الاخبار الكاذبة حتى لحق بالابرياء مالحقهم من الضروب والاهانة تحت أجرة معلومة عن كل أخبارية شيئاً يتقاضونه سراً

٢ — عدم انتظام احوال بعض جنود الدرك الذين لا يعلمون من الوظيفة سوى حمل العصي حتى لا تجد جندياً من الفرسان والمشاة الا بيده عصاة لاجل كسر شرف الناس وسوقهم سوق البهائم

٣ — ان حامد قرقوط من قرية ذيبين سجن مدة خمسة شهور ونيف وكسرت اضلاعه وتمزق جلده من ضرب السياط بسبب وشاية مصدرها حسود وقد اتضح ذلك فيما بعد

٤ — أن حسين كبول من رعية اللحف تمزق جلده من ضرب السياط لمجرد كونه مر بالطريق العام ولم ينتبه لالقاء السلام على السكابورال (اونباشي) ده يوشيل

٥ — جلب سامي افندي المستخدم في المستشفى العمومي بعض نساء درزيات بقصد الايقاع بهن وبما ان حسين مرشد داره ملاصقة

للمستشفى شعر بذلك ونصحه سبب له عداوة ووشى به لحضرة الليوتنان موريل بانه ضربه واغتنم فرصة حبسه عشرة أيام كل يوم صباحاً له عدة سياط على رأسه المكشوف والظهر كذلك وأيضاً في المساء مع تشغيله طول النهار بدون لباس على رأسه ولا نعل في رجله بتكسير الحجارة ووضعه ليلا ضمن غرفة الفحم ولم يكتف بذلك بل شهد عليه بانه في هذه الضوضاء أشهر مسدسه على الليوتنان موريل حال كونه لم يكن حاضراً

٦ — عدم التحقيق عن دعاوي أي وشايات المخبرين المذكور باسمائهم أعلاه بل اعتبارهم بمثابة صادقين حتى ان وشاية حسن الخطيب أدت لسجن الشيخ سعيد طربيه (أحد وجوه الجبل وقد قتل في الهجوم عل المدفعية الفرنسوية في المزرعة) وأخيه سليمان وفارس مفرج الخصيص بسلطان باشا الاطرش وغازي الصفدي مدة شهر ونصف بتكسير الحجارة والضرب المؤلم دون سبب

٧ — توقيف اولاد حاتم وتغريمهم ثلاثة وعشرين ليرة ذهباً لمجرد وشاية وبدون تحقيق

٨ — توقيف وهبه المشعوش حيث لم يؤجر داره وضربه ضرباً مبرحاً حتى بقي مدة شهر لا يقدر على القيام

٩ — اطلاق العيارات النارية على محمد بك الحلبي مدير العدلية من قبل الكابورال ده يوشيل وترك هذا بلا جزاء

١٠ — ضرب وأهانة امين صديق من الكفر وحبسه تسعة

أيام بغرفة الفحم بدون أكل ولا شرب الا قليلا وبدون سبب قانوني حتى أشرف على الموت

١١ — توقيف حسين صديق خمسة عشر يوماً حيث لم يكن موجوداً في استقبال الكابتن كاربييه الذي غرم القرية عشرين ليرة ذهباً لاجل ذلك

١٢ — تكليف أهالي قرية عرمان غرامة عشرين ليرة لعدم انتظام استقبالهم له

١٣ — توقيف قائمقام صلخد فهد بك الاطرش وضربه ضرباً اليماً بدون تحقيق على ما أسند اليه

١٤ — توقيف اولاد الجناني مدة سبعة ايام في غرفة الفحم وضربهم صباحاً ومساء ضرباً مبرحاً واسقائهم ماء الملح لمجرد وشاية انهم قتلوا اختهم التي ظهرت حية وعدم معاقبة المفترين

١٥ — توقيف حمدان جبر وضربه ضرباً شديداً بدون مدعي شخصي ولا لبسب قانوني

١٦ — ثلاثة رجال مسيحيون من قرية خربة لا نعرف اسماءهم سجنوا ثلاثة عشر يوماً بذات المعاملة والضرب الشديد

١٧ — سجن شاهين شروف من قنوات وتشغيله بالاشغال الشاقة وضربه ضرباً مبرحاً

١٨ — توقيف فارس اسماعيل ابي علي بنفس الصورة والمعاملة

١٩ — توقيف قاسم عمر بنفس الصورة والمعاملة



بعد ضرب دمشق بالمدافع

٢٠ — فرض غرامة ثلاثة عشر ليرة عثمانيـة ذهباً عن كاز مسروق من البلدية قيمته سبعة قروش وظهور المسروق عند الامرأة نسيبه من جواسيس الحاكم

٢١ — ضياع هر الليوتنان موريل وفرض غرامة عشر ليرات ذهباً عثمانياً على عموم سكان السويداء

٢٢ — ضرب الكابورال ده يوشيل لابن شاهين الباروكي حتى صار بحالة العدم ثم احياه الله ولم يسأل الكابورال عما فعل

٢٣ — توقيف سليمان بك نصار مدير ناحيـة ساله وتشغيله بتكسير الحجارة مدة نصف شهر ثم طرده من وظيفته لوشاية

٢٤ — توقيف حمد حامد من قرية عرة وتشـغيله بالاشغال الشاقة بدون سبب قانوني

٢٥ — توقيف حضرة الشيخ صالح طربيه شيخ العقل ومن علماء الدين المعروفين وفارس افندي عزي واسماعيل مزهر ورفاقهم من وجوه السويداء وتشغيلهم بتكسير الحجارة لوشاية الشرطي فهمي افندي

٢٦ — كل مسجون تبرؤه المحكمة اذا طلب اخلاء سبيله يسجن خمسة عشر يوماً زيادة

٢٧ — تغريم المستنطق (قاضي التحقيق) عشرين ليرة عثمانية لزوجته بدون مسوغ شرعي ولا سبب قانوني وحسمها من راتبه

٢٨ — الجندي محمد رضوان لم ينتبه للسلام على ضابط فرنساوي

فسجن خمسة عشر يوماً مع الاشغال الشاقة وضربه ضرباً شديداً وطرده من الوظيفة

٢٩ — ان حسيب افندي الخوري احد موظفي الاستخبارات والجاسوس المعروف ابتدع كذبة بان الدروز اذا سعل احدهم يكون ذلك لعنة على من هم خلاف جنسه وقد ادخلها في ذهن بعض رجال البعثة مثل ده بوشيل وغيره وحيث لا يستغنى احد عن السعال قد ادى ذلك لسجن اشخاص كثيرين وضربهم ضرباً مؤلماً منهم الشيخ خزاعي الحلبي الذي سجن اكثر من شهرين

٣٠ — سجن الوكيل عبد الكريم افندي حرب الحائز شهادة مدرسة الدرك بدمشق والمشهود له بالاستقامة والمعرفة وتشغيله بالاشغال الشاقة خمسة عشر يوماً ثم طرده بوشاية

٣١ — توقيف هلال نخله وتشغيله بالاشغال الشاقة نهارا وليلا وابقاؤها في غرفة الفحم خمسة ايام بلا أكل واسقاؤه ماء الملح وتهديده بالسلاح من قبل الليوتنان موريل لاجباره على شهادة الزور بحق المأمورين

٣٢ — ان المعلمين الذين يتقاضون الرواتب الباهظة من حكومة الجبل تركوا التعليم وصاروا جواسيس برئاسة اكبرهم فيليب حتى معلم مدرسة صلخد وصاروا يضربون ويغرمون الاهالي بالجزاء النقدي كأنهم حكام

٣٣ — صدور أمر الكابتن بمنع الاهالي من دخول بيوت



بعد تخريب دمشق.

الزعماء وشتمه لهم وتهديده لرئيس المحكمة وضربه لعضو المجلس النيابي

٣٤ — احتكار الحاكم لسلطة رؤساء الدوائر والمحاكم والدرك حتى صارت المحاكم اسماً بلا مسمى لا حكم لها الا بعد صدور الامر منه

٣٥ — مختار قرية عاهرة سجن ستة اشهر ونصف مع الاشغال الشاقة بدون ان يعلم جرمه

« فعليه يا حضرة القائد اذا شئتم فتح باب التحقيق على الانفراد واعلنتم في هذه البلاد ان كل من سجن ظلماً وكل قرية تغرمت بالجزاء النقدي تقدم شكواها لضاق بكم الوقت ومللتم التحقيق وكل هذه الامور سببها جهل الجنود واعتداؤهم على الاهالي بالعصي والسياط وخصوصاً بعد حضور الليوتنان موريل وسامي افندي الذي لا حق له بالتدخل بأمور الحكومة حتى ضاق ذرع الاهالي » — انتهى

تلك هي اعمال الرجل الذي وقع عليه اختيار السلطة الفرنسوية لتمدين اهل جبل الدروز وترقيتهم والاخذ بيدهم في طريق الحرية والاستقلال فحدث ما حدث !

وبعد أخذ ورد طال امدهما بين زعماء الدروز والكابتن كاربييه تمكن اولئك من مقابلة الجنرال سرايل في دمشق فبسطوا له شكواهم وطالبوه بتنفيذ الاتفاق المعقود بينهم وبين المسيو روبير دي كيه وفي مقدمة مواده ان يكون حاكم الجبل من الوطنيين فكان جوابه ان المعاهدة التي يتمسكون بها لم يعد لها سوى قيمة تاريخية

وفي اواسط شهر مايو سنة ١٩٢٥ تقريباً رحل الكابتن كاربييه

الى فرنسا بالاجازة فانتدبت المفوضية الفرنسوية الكابتن رينو حاكما بدلا منه بالنيابة ريثما يعود من اجازته فسار الحاكم الجديد على سياسة مرنة تختلف عن سياسة سلفه مما حببه الى الدروز وجعلهم يطلبون الى ولاة الامور الفرنسويين تثبيته محل كاربييه نهائياً فقوبل طلبهم بالرفض

غير ان الدروز لم ينثنوا عن عزمهم وألفوا في شهر يونيو التالي وفداً ضم ٣٦ عضواً من زعمائهم وكبارهم وشيوخهم فسار في ٢ يونيو الى بيروت بطريق دمشق لمقابلة المندوب السامي ورجائه بابقاء الكابتن رينو فاتصل خبر وصول الوفد الى بيروت بالجنرال سرايل في مساء ٨ يونيو وكان قد أقام في تلك الليلة حفلة راقصة في داره حضرها المسيو شفلر مندوب المفوضية في دمشق فدنا المسيو شفلر من الجنرال سرايل في اثناء الحفلة وابلغه حكاية الوفد الدرزي فاجابه المندوب السامي بخشونة : « قل لهم ان يرجعوا من حيث اتوا »

وفي ١٨ يونيو عاد نسيب بك الا[illegible]ش الى بيروت مرة أخرى وزار زعيمين من زعماء الدروز فيها وهما علي بك جنبلاط والامير أمين ارسلان فأفضى اليهما بحديث خطير مما قاله لهما « أنني لا أضمر شراً للفرنسويين ولكنني لا اريد كاربييه بعد الآن وعندي أمور هامة أريد ان أسر بها الى الجنرال سر[illegible] . . . فليعين الكابتن رينو الذي يقوم الآن مقام الحاكم حاكما نهائياً وأنا أعود الى قومي راضياً ... فانني لا أطلب منه اكثر من ذلك » فرفض سرايل

ان يقابله مرة أخرى فأرسل نسيب بك يقول له «فليكن! فالبندقيات ستتكلم اذن»

وكان الكابتن رينو قد أرسل في تلك الاثناء تقريرين الى الجنرال سرايل الاول بتاريخ ٢ يونيو والثاني بتاريخ ١٧ يونيو وقد أوضح فيهما خطورة حركة أهل الجبل ضد الكابتن كاربييه وطلب الى المندوب السامي بلهجة الالحاح ان يقابل وفد زعماء الدروز ويصغي الى شكواه ووصف له أعضاء الوفد ومكانتهم ولكن الجنرال سرايل رفض بعد تلقيه التقرير الاول مقابلة الوفد مع ان الامير فؤاد ارسلان النائب اللبناني التمس منه مقابلته ولو خمس دقائق على الاقل ثم ان الجنرال سرايل ارسل بعد تلقيه التقرير الثاني أمراً الى مندوب المفوضية في دمشق باقالة الكابتن رينو من منصبه وذلك بكتاب هذا نصه : «اتشرف بأن أرجو منكم استدعاء الكابتن رينو فان حالته النفسية كما يظهر من تقريره المؤرخ في ٢ يونيو لا تلائم الظروف والاحوال الحاضرة في جبل الدروز وعليكم ان تعينوا ضابطاً آخر بدلاً منه»

قال المسيو هنري دي كيرليس . «غير ان الهياج ظل يزداد في الجبل الى ان حدث في ١ يوليو — أي بعد انذار الكابتن رينو (للمندوب السامي) باقل من شهر — حادث خطير فحواه ان جماعة من الشبان اهانوا في حفلة أهلية زعيماً درزياً اشتهر بولائه للفرنسويين فتدخل رجال الجندرمة في الامر وحاول الليوتنان موريل (معاون كاربييه) ان يهدىء روع المتظاهرين فارتفعت اصوات تنم على روح

المداء من كل صوب وحدب ثم صفع احدهم الليوتنان موريل على وجهه واطلق آخر عيارين ناريين في جهته فأخطأه ولاح لمتتبعي الحالة يومئذ ان الفتنة توشك ان تشتعل فاضطر الكابتن رينو الحاكم بالنيابة — وقد نقل من منصبه هذا بعد ايام — الى اتخاذ تدابير حازمة وانزال العقاب بفريق من الاهالي مع ما اشتهر به من الحلم واللطف

« واخذت الحالة تزداد خطورة . . .

« واخذت التنبؤات التي تنبأ بها الكابتن رينو تتحقق شيئاً فشيئاً

« وحانت الساعة لان يظهر الجنرال سرايل بنفسه ويتدخل في المسألة بشخصه ليحاول تسكين الخواطر ويتدارك عاقبة خطته فقرر

١ — ان يرسل القومندان تومي مارتان الى السويداء في مهمة وهي أن «يمهد السبيل الى رجوع الكابتن كاربييه» غير أن الدروز كانوا يجهلون مهمة القومندان الحقيقية وظنوا انه قادم الى السويداء لاجراء تحقيق عادل فخرجوا لاستقباله (٦ يوليو) بالهتاف ومظاهر الحفاوة والتكريم مما يدل على انهم لم يكونوا يقاومون فرنسا بل يعارضون في رجوع الكابتن كاربييه

٢ — أن يقبض على زعماء الدروز الدينيين والمدنيين ويرسلوا الى مكان مجهول تحتم عليهم السلطة الاقامة فيه

«وتوسل الجنرال سرايل لتحقيق الغاية الثانية بوسيلة لا أعرف لها سابقة في تاريخ مستعمراتنا حتى ولا في تاريخنا فانه رسم خطة تنطوي على دعوة الزعماء الدروز — اولئك الذين رفض مقابلتهم

وأهانهم — وافهامهم انه مستعد لان يقابلهم بنفسه أو بواسطة مندوبه (في دمشق) حتى اذا قدموا دمشق ودخلوا على المندوب قبض عليهم واعتقلوا

«والى القاريء صورة الكتاب الذي كتبه الجنرال سرايل في ١١ يوليو الى مندوبه في دمشق في هذا الشأن :

المفوضية العليا مكتب

بيروت في ١١ يوليو سنة ١٩٢٥

من الجنرال سرايل المندوب السامي الفرنسوي للجمهورية الفرنسوية في سورية ولبنان الى حضرة مندوب المفوضية لدى الدولة السورية

أرجو منكم أن تدعوا الى دمشق المحرضين (الدروز) وبينهم حمد بك ونسيب بك ومتعب بك وعبد الغفار وسلطان الاطرش بحجة انكم تريدون استماع شكواهم ومطالبهم حتى اذا حضروا أبلغتموهم انني أعدهم مسؤولين عن كل اضطراب يقع في الجبل وابقيهم ضماناً عندي في مكان يحتم عليهم الاقامة فيه وستعنون أنتم بابلاغي اسم المكان الذي يختار لهذا الغرض .

الامضاء : سرايل — انتهى

«وهكذا كان ففي ١٣ يوليو جاء ثلاثة من اسرة الاطرش الى دمشق آمنين فقبض عليهم في الحال وارسلوا الى تدمر

«اما سلطان الاطرش وسائر الزعماء فظلوا في جبل الدروز

حيث ما لبث خبر اعتقال زملائهم ان شاع وذاع فهاجت الخواطر واضطربت الافكار ووالى الاهلون عقد الاجتماعات في جميع القرى وفي ١٧ يوليو قرر ولاة الامور ضرورة ارسال الطيارات للاستطلاع وفي ٢١ منه أحاط الثائرون بقوة الكابتن نورمان فلم ينج من رجالها سوى ٦ وكانوا ١٦٦ في الاصل واختفى الكابتن نورمان في وسط المعمعة وقتل جميع ضباطه

وقال المسيو دي كيرليس في مقالة أخرى: سردنا في المقالة السابقة حكاية ما فعل الجنرال سرايل بالزعماء الدروز ورأينا النتيجة التي اسفرت عنها خطته في هذا الصدد. ويلوح لي أن كتابه (الذي اوردناه آنفاً) بلغ دمشق في مساء اليوم عينه أو عند طلوع الفجر في اليوم التالي وعلى كل حال ان المهم هو ان الجنرال سرايل قابل المسيو دليلي ديلوج مندوب المفوضية في دمشق قبل ظهر يوم ١٢ يوليو — وسيظهر للقارىء دليل ذلك من الوثيقة التي ننشرها في مايلي — ولا يزال مادار بينهما من الحديث يومئذ مكتوماً ولكن الذي يلوح لنا هو أن المسيو دليلي ديلوج أفرغ قصارى طاقته ليرجع الجنرال سرايل عن رأيه وليحمله على البحث عن حل معقول واقناعه بوجوب استدعاء الكابتن كاربييه الذي لا يشك احد في غلطاته

وهنا قال المسيو هنري دي كيرليس انه يعتقد ان مندوب المفوضية في دمشق لم يأل جهداً في سبيل ارجاع الجنرال سرايل عن خطته واخيراً لما رأى انه لم يفلح كتب اليه في المساء الكتاب التالي

مضمناً اياه ما قاله له شفاهاً في الصباح ودفعاً لكل تبعة عن عاتقه وهذا نص الكتاب :

مكتب : نمرة ١٢٩٨

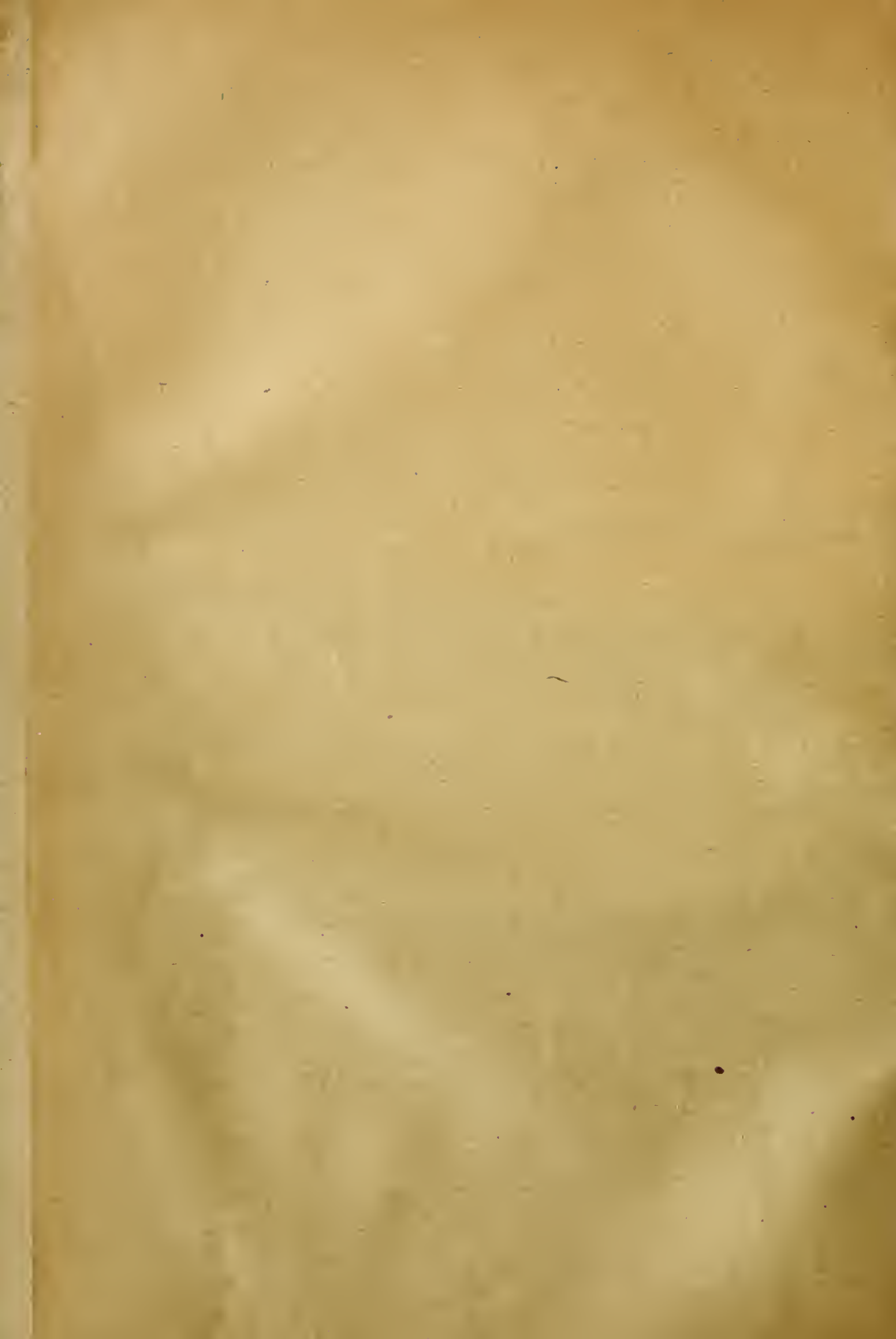
١٢ يوليو سنة ١٩٢٥

من مندوب المفوض السامي بالنيابة لدى دول سورية وجبل الدروز الى حضرة المندوب السامي للجمهورية الفرنسوية في سورية ولبنان

.... أرى من الواجب علي ان اذكركم بانه يلوح لي أنهم لايكترثون برأيي عن حقيقة الحالة في جبل الدروز فمما لاشك فيه ان الكابتن كاربييه عمل هناك اعمالاً مفيدة وهامة ولكن في جبل الدروز كما في سائر انحاء هذه البلاد اذا اريد تحقيق امر ما لابد من التوسل بالقوة وهذا ما فعله الكابتن كاربييه فانه لما كلف منذ البداية خضد شوكة آل الاطرش والقضاء على سطوتهم اضطر الى الظهور «باكثر من مظهر الحازم» ولا يخفى ان آل الاطرش هم افراد اسرة قوية محترمة يعد كل عضو فيها في دين الجبل بمثابة« بابا » ولا اغالي اذا قلت نصف الهئم ان الكابتن كاربييه كان عصبي المزاج وخصوصاً في المدة الاخيرة وان جميع رؤساء العائلات الكبيرة لايناوئون الآن فرنسا بل الكابتن كاربييه وقد قوبل القومندان تومي مرتان بالهتاف الذي قوبل به الكابتن رينو والآراء مجمعة على تعيين حاكم فرنسوي بشرط ان لا يكون الحاكم الكابتن كاربييه ويرجع هذا الى هفوات وعوامل ادبية وخلقية شتى سأبسطها لكم يوم الثلاثاء

ويقول الدروز انهم عانوا اضطهادات كثيرة وانهم ايسوا انذالا وانهم لا يستطيعون احتمال الحالة الحاضرة بعد الآن وانهم قد صمموا على بذل النفس والنفيس وانهم لا يضمرون لنا شراً وانهم اصدقاء فرنسا وانهم لا يطلبون سوى الاحتفاظ بحاكم فرنسوي . . . ويجب ان لا يغرب عن بالكم ان الجبل برج كبير واذا اضطررنا الى قمع اضطراب ما فالعملية تكون شاقة جداً وصعبة جداً وكبيرة النفقة والكلفة في هذه البلاد الجبلية المتعددة المسالك والشعب حيث يقدر المعتدلون انها تأوي اربعة آلاف مقاتل ونكن المطلعين على بواطن الامور يؤكدون لي ان هناك من ثمانية آلاف الى عشرة آلاف

« فجميع هذه الاعتبارات هي التي حملتني ياسيدي الجنرال على ان اقول لكم في هذا الصباح ان المشكلة تفتقر الى عنايتكم الكاملة وانني اعتقد انه لا يزال في الامكان حلها حلاً مشرفاً مع مراعاة مصلحتنا اذ ان المشكلة تقتصر كما لا يخفى عليكم على الشخصيات وهي لا تتناول سوى ضابط واحد اعترف بانه احسن اداء مهمته ولكنني لا ارى انه سيصيبه غبن او ضرر اذا ابدلتموه بغيره كما انه ليس في هذا امتهان لنا او اذلال ما دام خلفه سيكون فرنسوياً ايضاً وستكرنون انتم الذين تعينونه . هذا من جهة ومن جهة اخرى يجب ان نحسب حساب الخطر الذي يستهدف له الكابتن كاربييه شخصياً في حالة رجوعه الى مقر منصبه وليس هناك فائدة من تعريضه للخطر والاصرار على ابقائه في الجبل سوى اظهار قوتنا وعظمتنا وهذا أمر لا يشك أحد فيه . اما





الفرنسويون ينقلون جثث قتلى العصابات، على ظهور الجمال

إذا كان القرار باعادة الكابتن كاربييه الى منصبه قراراً نهائياً وتكرر حدوث الحوادث القديمة فاننا سنضطر بحكم الحالة الى التوسل بالقوة ومع انه لا يوجد من يرتاب في فوزنا فاننا سنعرض — ولو الى اجل مسمى — حالة فرنسا الادبية للخطر مع مقامنا في جبل الدروز ايضاً فنخرب ما بنيناه بشق النفس .

الامضاء — دليلي ديلوج

وما كاد القومندان تومي مارتان يصل الى السويداء ليحل محل الكابتن رينو حتى اعتقل عدداً كبيراً من الزعماء والشيوخ وارسلهم الى المنافي والسجون في دمشق وتدمر والحسيجة واعلن انه سيتذرع بجميع وسائل الشدة للقضاء على هذه الحركة (حركة المطالبة باقالة الحاكم) والاقتصاص من دعاتها وموقدي نارها . وبعد ما قبض ونفى من نفي وسجن من سجن أرسل يدعو سلطان باشا من منزله في قرية (القرية) للقدوم اليه فارسل متعذراً لانه أدرك انه ان ذهب لا يعود فكرر وكيل الحاكم الطلب فكرر سلطان باشا الرفض فارسل اخيراً اليه اربعة من الضباط الفرنسويين مع قوة صغيرة ليقنعوه بالقدوم أو ليأتوا به اليه اذا كان ذلك بامكانهم والظاهر ان سلطاناً اخذ أهبته لمثل هذا العمل الذي كان يترقبه بعدما شاهد من اصرار الحاكم والحاحه فلم يكد هؤلاء يبلغون القرية حتى قبض عليهم واعتقلوا جميعاً وكان ذلك بدء دخول الثورة في دورها العملي وتحولها من حال الى حال

الفصل السادس

انفجار البركان

ضرب دمشق — رحيل سرايل

كان بود المؤلف ان يتناول في هذا الفصل وصف القتال الذي دار بين الجنود الفرنسوية ورجال سلطان باشا الاطرش بالتفصيل ولكن لا يخفى ان المصادر التي استندنا اليها في استقاء المعلومات عن سير المعارك في جبل الدروز كانت المصادر الفرنسوية تارة والمصادر الدرزية أخرى ولما كان التباين بين روايات الفريقين المتنازعين عظيماً والاختلاف كبيراً وحيث انه ليس في استطاعتنا في الوقت الحاضر ان نستخرج ما يؤيده التاريخ ويصح السكوت عليه رأينا ان نكتفي هنا بسرد أهم أدوار القتال منذ وقوع الحرب الى ساعة رحيل الجنرال سرايل الى فرنسا

فنقول ان أول معركة نشبت [١] بين الفرنسويين والدروز كانت في يوم ١٦ يوليو سنة ١٩٢٥ فقد باغتت قوة درزية من رجال سلطان باشا فصيلة من الجند الفرنسوي كانت تنزل في قرية الكفر (في داخل الجبل) فابادتها تقريباً وعددها ١٩٠ جندياً فلجأ من استطاع

---

(١) رجع المؤلف في هذا الفصل الى كثير من المقالات المتممة التي ينشرها « مكاتب سياسي شرقي » في جريدة المقطم

النجاة من رجالها الى السويداء وتحصنوا مع حاميتها في قلعتها وطير الخبر الى دمشق وبيروت فعبأت السلطة قوة لا يقل مجموعها عن اربعة آلاف جندي عهد في قيادتها الى الجنرال ميشو فتجمعت هذه القوة في محطة أزرع وسارت يوم أول أغسطس قاصدة السويداء لانقاذ الحامية وتأديب الثوار فسارت يومها الأول من دون معارضة وتقدمت حتى بلغت نجران وماء المزرعة في اليوم الثاني حيث وقعت في فخ نصبه لها الثوار وكانوا يرابطون هناك بقيادة حمد بك البربور الذي أبلى بلاء حسناً في تلك المعركة وكان من قتلاها مع أخيه أجود وابن عمه احمد وتعترف المصادر الدرزية بان خسارة الثائرين بلغت في هذه المعركة ٢٥ قتيلاً أما حملة الجنرال ميشو فتفرقت وقتل كثيرون من رجالها وغنم الثوار جانباً عظيماً من معداتها ومدافعها وبندقياتها ودباباتها ولم ينج قائدها إلا بشق الانفس حيث لجأ الى دبابة عادت به على الفور الى ازرع . ويؤكد العارفون انه لو واصل الثوار مطاردة فلول الحملة الفرنسوية لبلغوا دمشق ودخلوها من دون مقاومة لعدم وجود قوى كافية فيها . ولكن الظاهر ان عدم تنظيم الثورة يومئذ وكونها في دورها الابتدائي حال دون ذلك فعاد الثوار الى قراهم واخذوا يستعدون لمنازلة الجيش الفرنسوي الذي كانوا ينتظرون وروده

ولما وصل خبر نكبة الجيش الفرنسوي في معركة المزرعة الى باريس أخذت القوى ترد من فرنسا الى بيروت واذاعت الصحف التي تنطق بلسان المفوضية العليا في دمشق وبيروت ان الفرنسويين يعدون

حملة عظيمة لتدويخ الجبل واخضاع الثوار وضربهم ضربة قاصية. وبالفعل فقد قضى الفرنسويون خمسين يوماً كاملة في إعداد هذه الحملة (أول اغسطس — ٢٠ سبتمبر) جمعوا فيها كل ما استطاعوا جمعه من جند ومعدات ومدافع وطيارات ودبابات وقد خطب الجنرال غاملان الذي جيء به خصيصاً من فرنسا لقيادتها خطبة في جنده يوم الزحف أوصاهم فيها بالرفق بالثائرين وبعدم حرق الديار والمنازل. ولا بد لنا من القول هنا ان الثوار نازلوا جانباً من هذه القوة في المسيفرة يوم ١٧ سبتمبر فهزموها وتقول المصادر الدزرية ان خسارة الفرنسويين في هذه المعركة بلغت ٧٠٠ قتيل منهم ٢٠٠ كانوا طليمة وقد ابيدوا على بكرة أبيهم . واما خسارة الدروز في معركة المسيفرة فهي باعترافهم ٣٠٠ قتيل بينهم هايل ابن متعب بك الاطرش شيخ قرية رساس وقائد المشاة

ومشى الجنرال غاملان يوم ٢٣ سبتمبر الى السويداء لاحتلالها وإنقاذ حاميتها فدخلها ظهر ٢٤ من دون مقاومة تذكر ولكنه ما كاد يجن الليل حتى قطع الماء دفعة واحدة في السويداء واضطرمت النار فيها واحاط بها الثوار من جهاتها الثلاث يمطرونها وابلا شديداً من رصاصهم فاضطرت القوة الى اخلاء السويداء على عجل خوفاً على خط رجعتها وعادت الى المسيفرة .

ويقول الثوار انهم خسروا في معارك السويداء هذه ١٥٠ قتيلاً وان خسارة الفرنسويين بلغت ١٨٠٠ قتيل . وأعلن في بيروت

على أثر ذلك ان الحملة أتمت الدور الأول من مهمتها وهو عبارة عن إنقاذ حامية السويداء وهي تأخذ أهبتها للدور الثاني وهو تأديب العصاة واخضاعهم

وبالفعل استأنفت الحملة العمل يوم أول اكتوبر في ما سموه الدور الثاني فزحفت على قرية خربا يوم ٢ اكتوبر فدخلتها من دون مقاومة وسارت يوم السبت في ٣ منه الى عرى فنشبت معركة عنيفة بينها وبين الثوار الذين كانوا يرابطون لها

أما مصادر الثورة فتصف معركة عرى كما يأتي : زحفت الحملة من خربا وهي مؤلفة من ٨٠٠٠ جندي ومعها كمية كبيرة من المدافع و٤٠ دبابة مصفحة فكمن لها الثوار عند صرود عرى ونازلوها في معركة حامية دامت عدة ساعات وانتهت بارتداد الحملة الى المسيفرة . ويقول الثوار أنهم غنموا منها بطارية مدافع وعدداً من الرشاشات وكمية كبيرة من الذخائر واسروا منها ٢١٥ جندياً منهم ١٥٠ من المغاربة ومما يستحق الذكر هنا ان عرب حوران اشتركوا في هذه المعركة وهي أول معركة يشتركون فيها مع الدروز بل أول حادثة من نوعها في تاريخ حوران

ويقول الثوار انهم خسروا في هذه المعركة ٦٠ قتيلا وجرح أكثر من ٦٠٠ بينهم نسيب بك الاطرش وهو من كبار شيوخ الجبل ورجاله المعدودين (وهو القائد العام لفرسان الدروز في الثورة الحاضرة) . عبد الغفار باشا الاطرش وهو أيضاً من شيوخهم الكبار

الاول في رجله والثاني في يده وان جراحهما ليست بذات بال . وممن جرح من قواد الثوار في هذه المعركة حمزة بك الدرويش من شيوخ الجبل . أما خسارة الفرنسويين فيقدرها هؤلاء بثلاثة آلاف بين قتيل وجريح وأسير

واذا أنعم القارئ النظر في هذه الحوادث التي أجملناها ومعظمها مأخوذ من المصادر الرسمية الفرنسوية ومن البلاغات الواردة من قيادة جيش الثورة تبين له ان نتائج الاعمال التي عملها الفرنسويون في الدور الثاني لم تكن أفضل بكثير من النتائج التي اسفرت عنها معارك الدور الاول الذي أبتدأ بدخول السويداء يوم ٢٤ أغسطس سنة ١٩٢٥ وانتهى بالعودة الى المسيفرة في ٢٧ منه



ومضت الاسابيع الثلاثة الاولى من شهر أكتوبر من دون أن تأتينا المصادر الفرنسوية بانباء جديدة عن حملة حوران وعن الخطة التي اختطها الجنرال غاملان وقرر تنفيذها في الدور الثالث من دور الاعمال العسكرية

وبينما نحن نرقب تلك الانباء نقلت الينا رسائل سورية أخبار القتال الذي بدأ في غوطة دمشق حيث فصل الفرنسويون قوات كبيرة من جنود الجنرال غاملان وجاؤا بها الى الغوطة لمطاردة العصابات التي تألبت عليهم هناك

والغوطة اسم يطلق على الارياض المحيطة بدمشق الشام وهي غابة

كثيفة من الاشجار والحراج تمتد الى مسافة بضعة عشر كيلو متراً وتحيط بدمشق من غربها وشمالها وشرقها . وغني عن البيان ان كثرة الاشجار واشتباكها وتعدد الادغال والغابات وتفرع جداول المياه والانهار وتشعب المسالك والطرق — ان كل ذلك يجعل مطاردة العصابات من أصعب المهام على الجيوش الحديثة خصوصاً اذا كانت مؤلفة من قوى كبيرة ومجهزة بدبابات ومدفعية ورشاشات تعرقل حركاتها ولا تمكنها من اللحاق بالاشقياء الى مكامنهم وهذا علاوة على انه ليس هناك من يعرف هذه الأراضي سوى سكانها وعلاقتهم بالسلطة معروفة .

أما العصابات التي تعمل في منطقة دمشق فيظن انها ست وهي عصابة نسيب بك البكري وعصابة رمضان باشا شلاش وعصابة حسن الخراط وعصابة الشيخ عمر حجازي وعصابة أولاد عكاش وعصابة جمعه سوسق . ويتولى نسيب بك بنفسه الادارة العامة لحركة العصابات كلها في منطقة الغوطة وربما كان هذا السر في ما شهده الناس من حسن سلوك رجالها وقد كانت عصابة حسن الخراط أول عصابة نازلت القوات التي جيء بها من جيش الجنرال غاملان كما تقدم فقاتلتها قتال المستميت وفتكت بجانب من الجنود في معركة حامية فاستاء الفرنسيون لانهم ما كانوا ينتظرون هذه النتيجة وطار لبهم فأخذوا يصبون نيران مدافعهم على القرى لهدمها بحجة أنها تأوي رجال العصابات وتشد أزرهم وأطلقوا جندهم وهو مزيج من شراكسة وسنغاليين

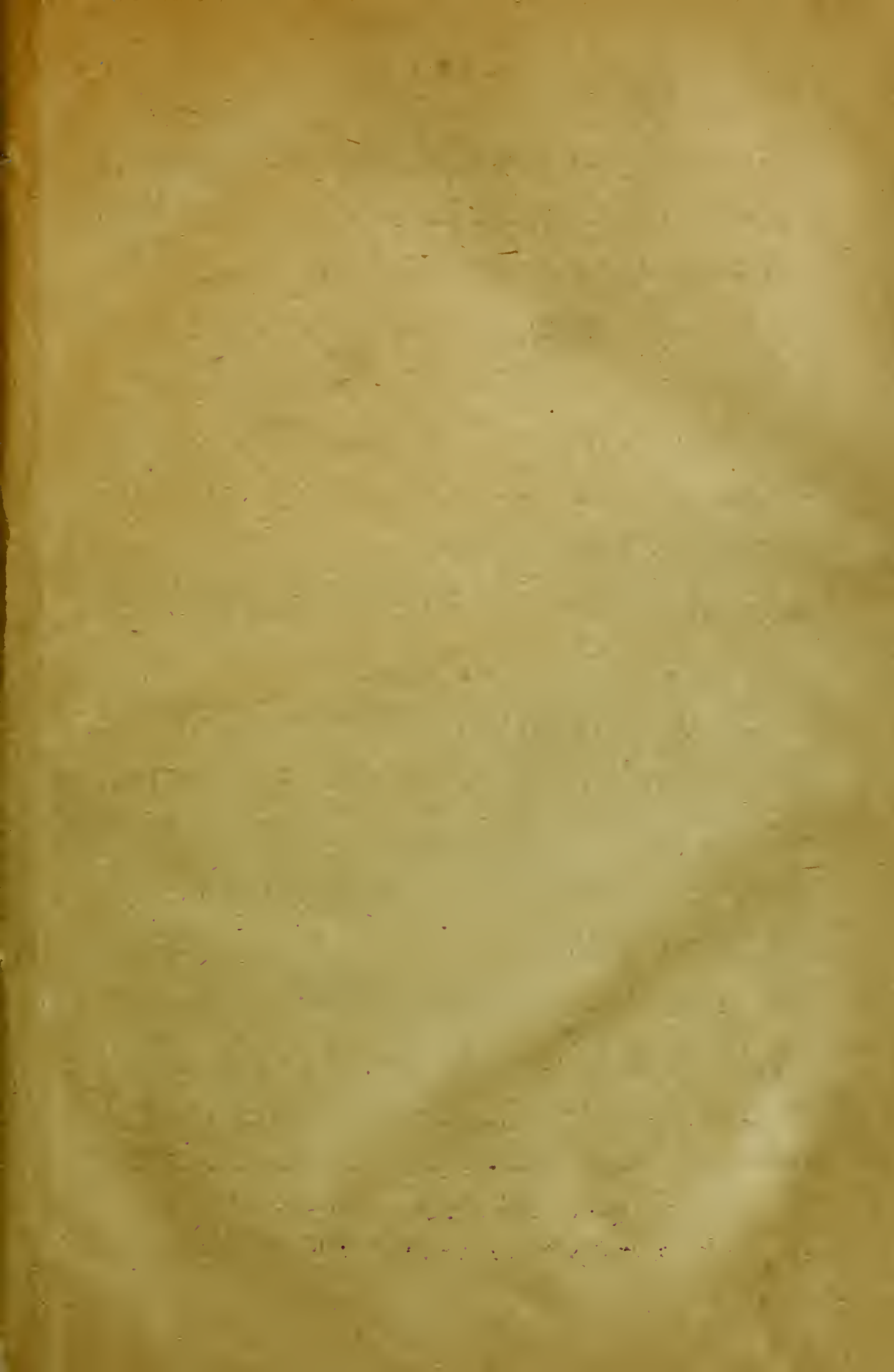
ومغاربة — العنان يسلب وينهب ويفتك بالاعراض فثارت لذلك ثائرة سكان الغوطة وهم يبلغون نحو ٥٠ الف على أقل تقدير فهجر شبانهم البيوت متقلدين السلاح ومنضمين الى العصابات

وقد إعتقد الضباط الفرنسويون على اثر حوادث الغوطة هذه التي تنطوي على كثير من أعمال هائلة لا يتسع المقام للافاضة بها انه لا يليق بهم ان يدخلوا دمشق الا دخول الفاتحين الظافرين فقبضوا من هنا وهنالك على ٢٤ شخصاً يقول العارفون انهم من الابرياء الذين لا دخل لهم في العصابات ، فاوثقوهم ثم أعدموهم رمياً بالرصاص ثم وضعوهم على ظهور الجمال وعادوا بهم الى دمشق فدخلوها دخول الفاتح الظافر أملاً بأن يحدثوا تأثيراً في نفوس سكانها ويرهبوهم

والظاهر ان اعمال الفرنسويين في الغوطة وما يقال عن اعتداءاتهم المنكرة دفعت رجال العصابات في اليوم التالي الى مهاجمتهم في دمشق نفسها للثأر منهم على ما فعلوه بالنساء في قرية جرمانا وغيرها فكان الهجوم على دمشق وبدلا من ان يقابلهم الفرنسويون وهم بكثرة من جندهم ودباباتهم ومدفعيتهم وطياراتهم — انسحبوا بجميع قواهم الى الجهة الشمالية من المدينة (حي الصالحية) وبدأوا يطلقون القنابل المحرقة على دمشق نفسها لارهاب اهلها وللانتقام منهم لانهم عالمون الثوار ولا يقبضون عليهم ويسلمونهم للقضاء الفرنسوي ليحاكمهم فكانت غلطة عظيمة لانها أثارت ثائرة جميع الدمشقيين وأخرجتهم عن طور الوقار والاعتدال فهرع شبانهم وكهولهم الى الضواحي منضمين الى



المسيو هنري دي جوفنيل
المندوب السامي الفرنسوي الجديد في سورية ولبنان



الثورة والثوار وهكذا انعكست الآية وضاع الغرض الاول ولا يلد الخطأ الا خطأ — كما اغضبت العالم المتمدن وقوبلت منه بالاشمئزاز

ولا بد هنا من القول ان ولاة الامور الفرنسويين نفذوا طريقة محكمة في تدمير دمشق اذ سددوا قنابلهم على القسم الآهل العامر من المدينة وعلى الاسواق التجارية فدمروها كلها تدميراً لتكون النكبة أعظم وكانوا يطلقون قنابلهم باحكام على كل بناية يريدون تدميرها يدل على ذلك ان لآل البكري وكالة كبيرة استأجرها البنك الفرنسوي السوري واتخذها مقراً لاعماله فقد دمرت القنابل جميع الحي الواقعة فيه ولم تبق قائمة سوى هذه البناية وحدها

*
* *

وفي يوم الثلاثاء ٢٠ اكتوبر سنة ١٩٢٥ ، وكان الوقت عصراً ، تلقى المقطم التلغراف التالي من مكاتبه في القدس [١] وهو :

القدس الثلثاء الساعة ٢٧ : ٢ بعد الظهر

مستعجل — المقطم بمصر

دخل فرسان الدروز دمشق أمس والطيارات تضربها وقد ثارت دمشق اليوم مراسلكم

وبعد المباحثة قرر قلم التحرير أن يمسك عن نشر التلغراف في المقطم الذي صدر مساء ذلك اليوم « خوفاً [٢] ان يكون فيه مبالغة

---

(١) وقد كان المؤلف اول من فض ذلك التلغراف المشئوم

(٢) كما قال المقطم في اليوم التالي

اذ لم نكن نظن ان رجال السلطة العسكرية في دمشق يضيعون صوابهم ويأمرون باطلاق قنابل المدافع والطيارات على مدينة عظيمة آهلة بالرجال والنساء والاطفال بل على أقدم مدينة تاريخية ولكن ظهر بعد ذلك ان الخبر صحيح برمته» اذ وزعت وكالة هافاس التلغراف التالي وهو :

بيروت في ٢٠ اكتوبر — «انضم الغوغاء الى العصابات التي تسربت الى ضواحي دمشق الجنوبية ونصبوا متاريس في الاحياء الاسلامية وأضرموا النار في بعض المخازن والبيوت

«وقد ظل الجنود مستولين على المباني العامة والعسكرية وأطلق الثائرون نار البندقيات عليها فقابلت المدفعية هذا الفعل بمثله واطلقت قنابلها في النهار والليل على الاحياء العاصية وكان للسيارات المدرعة المعدة للهجوم تأثير عظيم فأخمدت حدة العصاة وكانت خسارة الجنود الفرنسوية يسيرة »

وقد ظهر من التفاصيل التي نشرتها الصحف عن فاجعة الشام ان العصابة التي دخلت دمشق هي عصابة حسن الخراط [٣] وقد كانت مؤلفة من ٤٠ شخصاً فقط ويقال انها كانت تحاول اختطاف الجنرال سرايل الذي وصل ظهر ذلك اليوم الى دمشق ويعلل هذا باتجاهها رأساً الى قصر آل العظم الذي حوله الفرنسويون الى مستشفى ويقال انها بلغته بعد ماغادره الجنرال ببضع عشرة دقيقة فقط وظل رجال هذه

---

(٣) وكان ذلك يوم الاحد في ١٨ اكتوبر سنة ١٩٢٥

العصابة في دمشق الى ظهر يوم ٢٠ اكتوبر ثم ارتدوا حينما علموا ان السلطة لا تنوي مطاردتهم وانها تتخذ وجودهم ذريعة لمواصلة اطلاق القنابل على الأسواق والأحياء ولم يقع من رجال هذه العصابات ما يستنكر . وكان زعيمها حسن الخراط يطوف أحياء المسيحيين مطمئناً سكانها وقائلاً لهم: أنتم إخواننا وجيراننا . ومما يستحق الذكر هنا ان كثيرين من المسلمين لجأوا الى الاحياء المسيحية حينما اشتد إطلاق القنابل فلقوا كل رعاية ومجاملة من إخوانهم وجيرانهم .

هذا ما نكتفي بايراده هنا عن نكبة الشام وسنعود اليها بالتفصيل في الجزء الثاني من هذا الكتاب ونصف ما كان لها من الوقع العظيم في مصر وفي سائر الاقطار الشرقية والغربية لاننا لم نتلق حتى مثول هذا الكتاب للطبع جميع المعلومات والوثائق التي طلبها المؤلف للاستشهاد بها .



وفي ٣٠ اكتوبر وافتنا التلغرافات بخبر استدعاء الجنرال سرايل الى فرنسا فودعه المؤلف وعلق على الخبر بما يلي :

« ومما لا ريب[١] فيه ان جميع الذين قرأوا في الصحف خبر استدعاء الجنرال سرايل تمنوا لو ان قرار الحكومة الفرنسوية هذا جاء قبل « خراب الشام » ولكن المطلعين على شؤون فرنسا الداخلية يعلمون ان الاحزاب الفرنسوية السياسية جعلت من مسألة الجنرال سرايل

---

(١) من مقالة للمؤلف في باب « في عالم السياسة » في المقطم الصادر في ٢ نوفمبر سنة ١٩٢٥

مسألة حزبية فكان ذلك علة عدم استدعائه قبل الآن كما سيتبين للقارىء مما يلي فانه لما شرع المسيو هنري دي كيرايس في شهري يونيو ويوليو الماضيين يحمل على الجنرال سرايل ويعزو اليه سوء الادارة والسياسية من جهة ونقض تقاليد السوريين واللبنانيين من جهة اخرى ويلومه على تعيين المسيو كايلا حاكما للبنان وعلى القانون الذي قيد به الصحافة وعلى مناوأته لرجال الدين المسيحيين وعلى تمرضه لحرية انتخاب الحاكم في يناير سنة ١٩٢٥ وعلى عدم توسله بنفوذه ليحول دون شراء اصوات الناخبين والمندوبين في الانتخابات النيابية اللبنانية الاخيرة وعلى تقربه الى الذين اشتهروا بنزعتهم التركية — نقول لما شرع المسيو دي كيرليس وسائر كتاب جرائد احزاب اليمين في تلك الحملة على الجنرال سرايل ظن الناس في فرنسا انها حملة حزبية يراد بها النيل من المندوب السامي في سورية لمجرد انتمائه الى احزاب اليسار ولكن اتفق ان حدثت حوادث جبل الدروز على الاثر فجددت الجرائد الفرنسوية حملتها المعروفة على الجنرال سرايل طالبة اقالته من منصبه وكان في مقدمة الذين ايدوا هذا الطلب المسيو كايو وزير المالية والمسيو بريان وزير الخارجية والمسيو دي مونزي وزير المعارف فالحوا على رئيسهم — اي المسيو بانلفه — باستماع صوت الصحافة واستدعاء الجنرال سرايل ولكن لما كان سرايل صديقاً للمسيو هريو وهو الذي عينه مندوباً سامياً في سورية ولبنان خلفاً للجنرال فيجان ولما كان المسيو بانلفه يسعى يومئذ لاستمالة المسيو هريو وخطب وده على اثر الانشقاق

الاشتراكين عليه تردد في قبول نصيحة زملائه وعزم على ابقاء الجنرال سرايل في منصبه غير انه لما ساءت الحالة في جبل الدروز وعجز المندوب السامي عن تأديب العصاة والثائرين واعادة النظام الى نصابه وشاع في فرنسا ان الجنرال سرايل أرسل يطلب مدداً قامت الصحف الوطنية وقعدت وأرغدت وأزبدت وشاطرتها الصحف الفرنسوية المحايدة حملتها على المندوب السامي لتوانيه في ابلاغ حكومته حقيقة ما يقع في البلاد المشمولة بسلطته ـ لما حدث كل ذلك أدرك المسيو بانلفه انه لم يعد في استطاعته مقاومة المناوئين للجنرال سرايل فرأى ان يزور المسيو هريو في مصيفه ليفاوضه في مسألة المندوب السامي في سورية ويقنعه بوجوب استدعائه واقالته وتعيين غيره مكانه

« وقد اجمعت الصحف الفرنسوية التي تكلمت عن زيارة المسيو بانلفه للمسيو هريو على ان رئيس الوزارة عاد من تلك الزيارة وهو غير مرتاح الى النتيجة التي اسفرت عنها مباحثاته مع سلفه اذ ان المسيو هريو رفض ان يسلم باستدعاء الجنرال رفضاً باتاً وعد كل قرار تقرره الوزارة في هذا الشأن استهجاناً صريحاً للسياسة التي انتهجها في اثناء وزارته فصبر المسيو بانلفه وكان من جراء صبره ما كان

« ولم تعين التلغرافات حتى ساعة كتابة هذه السطور موعد ابحار الجنرال سرايل من بيروت ولكن المرجح ان يغادرها في هذين اليومين فليذكر سرايل وهو يرحل عن ديار الشام ان الذين ساق الجيوش والمدافع والدبابات والطيارات الى محاربتهم وقتالهم أرادوا

أن يتفاهموا معه فلم يرض . ليذكر انه قال لمعاونيه ان المعاهدة المعقودة بين فرنسا والدروز ليس لها « سوى قيمة تاريخية » وانه كتب في ١١ يوليو الماضي الى مندوب المفوضية في دمشق يأمره بدعوة زعماء الدروز الى مفاوضته حتى اذا دخلوا مكتبه آمنين قبض عليهم . وليذكر ان دليلي دلوج مندوب المفوضية بالنيابة في دمشق كتب اليه في ١٢ يوليو أيضاً يستنكر الامر الصادر اليه وينصحه بمقابلة زعماء الدروز واستماع شكواهم ويحذره من عاقبة منازلتهم « فنعرض — ولو الى أجل مسمى — حالة فرنسا الادبية للخطر »

«وليذكر سرايل أن القومندان تومي مرتان كتب اليه في ٧ يوليو يقول ان الدروز عزموا على مقاومة عودة الكابتن كاربييه بالقوة وان رئيس قلم المخابرات في درعا أبلغه في اليوم التالى ان زعماء الدروز أقسموا أن لا يقبلوا كاربييه مهما كلفهم الأمر وان تومي مرتان كتب إلى مندوب المفوضية في ١٥ يوليو ينذره بوعيد متعب بك وتهديده

«ليذكر سرايل كل ذلك ! ثم ليذكر انه وهو المسؤول عن سلامة سورية أمر باطلاق قنابل مدافعه وطياراته على دمشق وعلى أهل دمشق وليذكر ان رجاله نسفوا بيوت آل البكري بالديناميت ارواء لغليلهم وانتقاماً

«وليذكر سرايل انه متى مر أجنبي غداً بحي من الاحياء التي

خربها ودمرها وشاهد اطلالها وانقاضها وسأل عن صاحب تلك الآثار الناطقة أجابوه: سرايل

أجل ليذكر سرايل انه غداً متى شب الايتام الذين فتكت مدافعه بأهلهم وسألوا أمهاتهم عن أهلهم أجبنهم: «لقد ماتو» وان سألوا كيف ماتوا أجيبوا:

بأمر من سرايل.





